شُعَبُ الإِيمانِ

تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني

دار الصميعي للنشر والتوزيع

عادل بن عبد العزيز الجهني

شعب الإيمان

دار الصميعي للنشر والتوزيع

شُعب الإيمان

تأليف

عادل بن عبد العزيز أحمد الجهني

ح عادل عبدالعزيز أحمد الجهني، ١٤٤٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجهني، عادل عبدالعزيز أحمد
شعب الإيمان/ عادل عبدالعزيز أحمد الجهني-، الرياض- ١٤٤٢هـ
ص: ٢٢٢ ؛ سم: ١٧×٢٤
ردمك: ٧- ٧٢٠٢- ٠٣- ٦٠٣- ٩٧٨
١- الإيمان (الإسلام) ٢- العقيدة الإسلامية ٣- العبادات (فقه إسلامي) أ. العنوان
ديوي: ٢٤٠ ١٤٤٢/٩٢٦٠

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٩٢٦٠
ردمك: ٧- ٧٢٠٢- ٠٣- ٦٠٣- ٩٧٨

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٤٣هـ- ٢٠٢١م

دار الصميعي للنشر والتوزيع، المركز الرئيسي السويدي، شارع السويدي العام -الرياض
ص. ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢هاتف: ٤٢٦٢٩٤٥، ٤٢٥١٤٥٩
فاكس: ٤٢٤٥٣٤١
فرع القصيم: عنيزة، حي السليمانية، شارع الشبيلي، جـ: ٠٥٣٣٥٥٠٥٩٩
هاتف، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨ مدير التسويق: ٠٥٥٥١٦٩٠٥١
المملكة العربية السعودية
البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com

دار الصميعي للنشر والتوزيع

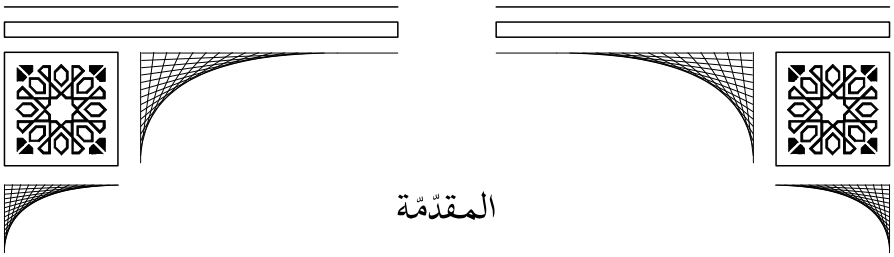

المقدّمة

الحمد لله الهادي إلىٰ سبيل الرشاد، والمُعين علىٰ الخير والسداد، يصطفي للإيمان من شاء من عباده، فيجعله في قلوبهم ويُحبّبه إليهم، ويضل بعدله من يشاء، ويصرفه عنه بحكمته.

وأصلي وأسلم علىٰ أكمل النّاس إيمانًا، وأعلاهم خُلقًا، دلّ أمته علىٰ كلِّ خير، ونهاها عن كلِّ شرٍّ، **وبعد**:

فقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**».

فهٰذا الحديثُ أصلٌ عظيم في أنّ الإيمان شُعبٌ كثيرة، ومراتب بعضها أعلىٰ من بعض.

وهو صريحُ الدلالة علىٰ أنّ الأعمال من الإيمان، لا كما يدّعي المبتدعة من الفرق الضالة أنّ الإيمان في القلب فقط، وهو مسلك فاسد أضرّ بكثير من المسلمين فلم يلتفتوا للأعمال الصالحة ولم يعتنوا بها، وتركوا كثيرًا من القُربات زاعمين أنّ ما في القلب يكفي وهٰذا من الضلال المبين.

وهذه الشُّعب تختلف مكانتها وأهميتها، فمنها ما يزول الإيمان بزوالها كمن أنكر أحد أركان الإيمان الستة، أو أَنكر وجحد ما هو معلوم من الدين

بالضرورة كوجوب الصلاة والزكاة والصوم والحج، ومنها ما دون ذلك.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: (الإيمان أصل له شعبٌ متعددة، وكل شعبة تسمىٰ إيمانًا، فالصلاة من الإيمان، وكذلك الزكاة والحج والصوم، والأعمال الباطنة كالحياء والتوكل.. وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها كشعبة الشهادة، ومنها ما لا يزول بزوالها كترك إماطة الأذىٰ عن الطريق، وبينهما شعب متفاوتة تفاوتًا عظيمًا، منها ما يلحق بشعبة الشهادة، ويكون إليها أقرب، ومنها ما يلحق بشعبة إماطة الأذىٰ ويكون إليها أقرب....) انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد تتبع علماؤُنا - رحمهم اللهُ - واجتهدوا في حصر هذه الشعب، واختلفوا في ذكر بعض مفرداتها؛ وتعيين هذه الشُّعب ليس محل اتفاق بينهم، وإنّما هو محض اجتهاد ممّن جمع.

قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: وبقي بين هذين الطرفين - أي الشهادتين وإماطة الأذىٰ - أعداد لو تكلّف المجتهد تحصيلها بغلبة الظن وشدة التتبع لأمكنه وقد فعل ذلك بعض من تقدّم، وفي الحُكم بأنّ ذلك مراد النّبي ﷺ صعوبة.

وقال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: (إنّ الكلام في تعيين هذه الشعب يطول وقد صُنّفت في ذلك مُصنفات، ومن أغزرها فوائد كتاب (المنهاج) لأبي عبد الله الحليمي إمام الشافعيين ببخارىٰ وحذا حذوه الحافظ أبو بكر البيهقي في كتابه: شعب الإيمان) انتهىٰ كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

وعدّها أيضًا الحافظُ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **وقال**: (هذه الشعب تتفرّع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن، فأعمال القلب فيه المعتقدات والنيات وتشتمل علىٰ أربع وعشرين خصلة - ثم ذكرها - وأعمال اللسان وتشتمل علىٰ سبع خصال - ثم ذكرها- وأعمال البدن وتشتمل علىٰ ثمان

وثلاثين خصلة - ثم ذكرها -..إلىٰ أن قال: فهذه تسع وستون خصلة ويمكن عدّها تسعًا وسبعين خصلة باعتبار أفراد ما ضُم بعضُه إلىٰ بعض مما ذُكر والله أعلم) انتهىٰ كلامه.

وقد اخترتُ - هنا - جُلّ ما اختاره الإمام ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ وأضفتُ بعض الشعب مما جاءت به بعض النصوص مما لم يذكره، وحذفت بعض ما ذكر من الشُّعب لتداخل بعضها ببعض - فيما رأيت- باختصار غير مُخلٍّ تقريبًا لهذه الشُّعب إلىٰ عامّة المسلمين.

وهذه الأعمال - كما سترىٰ- تتوزّع ما بين أعمال القلب، وأعمال البدن، وأعمال اللسان، ومنها ما نفعه قاصر علىٰ صاحبه، ومنها ما هو متعدّي النفع.

وقد جمعتها في هٰذا المختصر ليقرأها إمامُ المسجد علىٰ جماعة مسجده، وربُّ الأسرة علىٰ أبنائه، والمعلمُ في درسه وحلقته، وكل مسلم ومسلمة ليتعرّفوا علىٰ شُعب الإيمان ويجعلوها في حياتهم، فالتفاوت والرفعة عند الله إنما هي بالإيمان والعمل الصالح.

واللهَ أسأل الرشاد والسداد.

كتبه

عادل بن عبد العزيز أحمد الجهني

بريد الكتروني addeel333@gmail.com

جوال ٠٠٩٦٦٥٠٤٣٩٢٢٦٠

الشُّعبةُ الأولىٰ

قول لا إله إلا الله

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فقد جاء في الصحيحين - في بيان أهمية هذه الشعبة - قوله ﷺ: «**فأفضلها قول: لا إله إلا الله**».

وفي لفظ آخرَ في مسند أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: قال رسول الله ﷺ: «**أرفعها وأعلاها قول: لا إله إلا الله**»

فكلمةُ التوحيد هي أعظم وأعلىٰ شُعب الإيمان، وأرفعها مكانة، وأعلاها قدرًا، وأكثرها أجرًا، وأفضلها منزلة.

وهي أعظم الكلمات، وأحسن الحسنات، وهي أثقل ما يُوضع في ميزان العبد يوم القيامة، وبها بُعث الرسل، ولأجلها أُنزلت الكتب، وجُرِّدت سيوف الجهاد، وقام سوق الجنة والنار، وبالنطق بها دخول الإسلام، ففضلها لا يقدره حق قدره إلا من عرف منزلتها ومكانتها في الشريعة.

ومعناها: لا معبود بحق إلا الله.

ومضمونها: إفراد الله بالعبادة، والتوجّه إليه بالكليّة بإخلاص القصد له، والبعد عن الشرك بجميع أنواعه وصوره.

وهذه الكلمة بها ينجو صاحبها من النّار، ويظفر بشفاعة نبينا ﷺ إذا قالها

بإخلاص، ففي الحديث الصحيح يقول ﷺ: «**. . أسعد النّاس بشفاعتي يوم القيامة مَن قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه أو نفسه**» أخرجه البخاري.

وفي الصحيحين عن عِتبان بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله حرّم علىٰ النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**».

فالنطق بكلمة التوحيد يُخلّص صاحبها من الكفر والشرك، ويُنجّيه من البدع، ويُسلّمه من الإصرار علىٰ المعاصي متىٰ ما عرف معناها الحقيقي وأتىٰ بمقتضيات هٰذا الكلمة وذلك بقولها بإخلاص وتوحيد تامّ مناف لكل أنواع الشرك، ويقين جازم لا يعتريه شك، قابلًا ما اقتضته من الإذعان لأمر الله، منقادًا لشرع ربه غير مستكبر عليه، صادقًا في قولها بحيث يتواطأ القلب واللسان علىٰ هذه الكلمة العظيمة، وأن يقولها بمحبة كاملة ومحبة كل ما يتعلق بها.

فبهذه الأمور تنفعه هذه الكلمة نفعًا عظيمًا.

وكثيرٌ من المسلمين يقولونها ولكنّهم يتفاوتون تفاوتًا كبيرًا في معرفة معناها والعمل بمقتضاها، ولذا تجد الخلل والتقصير عند الكثير وذلك للجهل بالمعنىٰ الحقيقي لها.

فاحرص علىٰ هذه المعرفة التامّة لها لتنتفع بها، وتُؤدي حقها كاملًا كما أمر الله تعالىٰ، ولتنجو النجاة الكاملة بإذن الله تعالىٰ.

اللهم ارزقنا قولها كما تُحبه وترضاه ووفقنا لتحقيق التوحيد الكامل وبصّرنا بمعنىٰ هذه الكلمة العظيمة والعمل بمقتضاها.

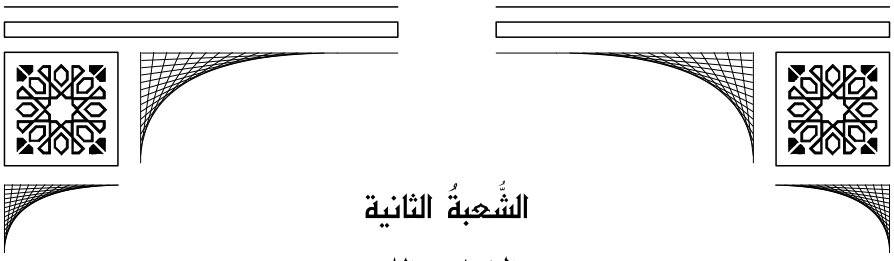

الشُّعبةُ الثانية

الإيمان بالله

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالإيمان بالله: هو اليقين الجازم بوحدانيته، وربوبيته للعالمين أجمعين، وألوهيته لهم وأنّه المستحق للعبادة دون سواه، والإيمان بأسمائه الحسنىٰ، وجلالة صفاته، ويدخل فيه:

الإيمان بوجوده وأنّه واجب الوجود، فهو - سبحانه - لم يسبقه عدم ولا يلحقه زوال، فوجوده حق، وقوله حق، وفعله حقه، وشرعه وحُكمه حق.

ودلّ علىٰ وجود الله: الشرعُ، والعقلُ، والفطرةُ.

فأدلةُ الشرع من الكتاب والسُّنة الدالة علىٰ وجود الله أكثر من أن تُحصر، بل القرآن كله جاء في التوحيد وأهميته وفضله وجزاء أهله، قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [الحَجّ: الآية ٦٢].

ولأنّ كتاب الله حق، فيجب التصديق بكلِّ ما أخبر به، وأعظم أخباره: الإخبار بوجود الله وكماله واستحقاقه للعبادة وحده دون سواه.

والعقلُ الصحيح المتجرّد لطلب الحق: يُرشدُ صاحبه إلىٰ وحدانية الله، وأنّ وجوده حق، فهٰذا الكون لا بد له مِن خالق، ولا بد أن يكون إلهًا عظيمًا

عليمًا قديرًا لا مثيل له ولا شبيه ولا نظير، وهو منفردٌ عن سائر الخلق بصفات الكمال، ونعوت الجلال.

والفطرةُ السليمةُ: دلت علىٰ وجوده، فالعبدُ يشعر بفطرته باضطراره لربه، وشدة حاجته إليه خصوصًا عند المُلمّات.

ويدخل في الإيمان بالله:

الإيمان بربوبيته، فهو ربُّ العالمين، والربُّ هو: الخالق الرازق المدبّر المالك.

ومن مقتضيات ملكه: التصرف الكامل فيه، فهو الآمر الناهي، الذي لا معقّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، ولا يكون في كونه إلا ما يريد.

والإيمان بربوبيَّة الله مستلزم للإيمان بألوهيته، ولذا يدخلُ في الإيمان بالله:

الإيمان بألوهيته وأنّه الإلهُ الحقُّ المستحق للعبادة دون سواه، فعبادته حق وعبادة غيره باطلة واضحة البطلان.

ويدخلُ في الإيمان بالله:

الإيمان بأسمائه وصفاته وأنّ له - سبحانه - الأسماء الحسنىٰ، فكل أسمائه حسنة كاملة الحسن، ولها دلالة ومعان تدل علىٰ عظمته وكماله.

وله الصفات العلا التي ليس لها مثيل أو نظير أو شبيه.

ولا يجوز التفكر في كيفية ذاته - سبحانه - لأنّ الله لا مثيل له ولا شبيه ولا نظير فهو ليس كمثله شيء، ولا يمكن للعقل أن يتصوّر حقيقة ذاته لاستحالة إدراكه ذلك ولكنّ المؤمن يعتقد بكمال الله من كل وجه، فهو عليم كامل العلم، حكيم كامل الحكمة، وهو البصير الكامل في بصره،

والسميع الكامل في سمعه. . . وهكذا في كلِّ صفة من صفات الكمال فالله متصفٌ بها وله الكمال من تلك الصفة.

اللهم زدنا علمًا بكَ وبصيرة في أسمائكَ وصفاتكَ، وارزقنا تعظيمكَ حقَّ التعظيم.

الشُّعبةُ الثالثة

الإيمانُ بالملائكة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالملائكةُ خلْقٌ عظيم من جُملة من خَلَق اللهُ الذين أبدع في صنعهم، وظهر فيهم عظيم قدرته، وجعل لهم صفات تميّزهم عن غيرهم من المخلوقات فهم لا يأكلون ولا يشربون، بل يسبحون الليل والنهار لا يفترون.

ومادة خَلْقهم: النور؛ ففي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**خُلقت الملائكة من نور، وخُلق الجانّ من مارج من نار، وخُلق آدم مما وُصِف لكم**» رواه مسلم.

حياتُهم عامرةٌ بالعبادة والتسبيح والتهليل والتكبير، وأعدادهم لا يعلمها إلا الله ﷻ، وحتىٰ تتخيّل هذه الأعداد الهائلة تأمّل قولَه ﷺ في رحلة المعراج -: «**إذ رُفِعَ إليَّ البَيْتُ المَعْمُورُ، فَقُلْتُ: يا جبريلُ ما هَذَا؟ قال: البَيْتُ المَعْمُورُ؛ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ إذَا خَرَجوا مِنْهُ لَمْ يَعُودُوا آخِرَ ما عَلَيْهِمْ**» رواه البخاري ومسلم.

فكم سيكون عدد الملائكة إذا كان يدخل البيت المعمور فقط كلَّ يومٍ سبعون ألف مَلَكٍ لا يعودون إليه مرة أخرىٰ، بل يأتي سبعون ألفًا غيرهم وهكذا كلَّ يوم إلىٰ يوم القيامة، فكم هي عدد الأيام منذ خلقها الله؟

وكم يكون عددهم؟

هٰذا ما لا يعلمه إلا الله، فسبحانه من إله عظيم جليل.

وخَلَقهم - سبحانه - بهيئات قوية وعظيمة، قال الله ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١﴾ [فَاطِر: الآية ١].

ورأىٰ النبيُّ ﷺ جبريلَ عليه السلام مرَّتين علىٰ خِلقَتِه التي خلَقَه اللهُ عليها، رآه مرةً وقد سَدَّ الأفُق، ورآه مرةً وله ستمائة جَناح. والحديث رواه مسلم.

«وقد أذِنَ الله لنبيه - صلىٰ الله عليه وآله وسلم - أن يُحَدِّث الناس عن مَلكٍ من حَمَلة العَرش، رِجلاه في الأرضِ السُّفلىٰ، وعلىٰ قَرنِه العرش، ما بين شَحمةِ أذُنه وعاتقِه خَفَقَان الطيرِ سبعمائة سنة» وهو في صحيح الجامع.

ومما جاء في بيان كثرة الملائكة وعباداتهم ما رواه الإمام الترمذي في سننه عن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «**إِنِّي أَرىٰ ما لا تَرَوْنَ أَطَّتِ السَّماءُ، وحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابعَ إِلَّا وَمَلَكٌ واضِعٌ جَبْهَتَهُ ساجِدًا لله تَعَالىٰ، واللَّه لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُم بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الْفُرُشِ، وَلَخَرجْتُمْ إِلىٰ الصُّعُداتِ تَجْأَرُون إِلىٰ اللَّه تَعَالَىٰ**».

والملائكةُ رتبهم متفاوتة، فأفضلهم جبريل عليه السلام ثمّ ميكائيل وإسرافيل ولذا كان يُثني رسول الله ﷺ علىٰ الله في ربوبيته لهم عند استفتاح صلاة الليل وذلك لشرفهم عليهم السلام.

وللملائكة أعمالٌ كثيرة ومتنوّعة، أشرفها: النزول بالوحي علىٰ الرسل وهي مهمة جبريل عليه السلام.

ومِن أعمالهم: النفخ في الصور وهي مهمة إسرافيل.

ومن أعمالهم: نفخ الروح في بني آدم، ومنها كتابة الأعمال، وزجر الرياح، وحفظ بني آدم، وحضور مجالس الذكر، وسؤال الميت في قبره... وغيرها من الأعمال الكثيرة.

وقد أقسم الله بملائكته في مواضع كثيرة من كتابه، وذلك لعظمتهم، ولشرف أعمالهم.

وخَلْقهم بهذه الهيئات وقيامهم بهذه الأعمال الكبيرة الكثيرة يدلُّ علىٰ عظمة الله تعالىٰ، وإتقانه لخلقه، فسبحانه من إله عظيم.

ومن أعمال الملائكة الدعاء للمؤمنين، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غَافر: الآية ٧].

والمؤمنُ يُحبُّهم لطاعتهم لربهم فهم عبادٌ صالحون مطيعون معظِّمون لربه، ولمحبتهم للمؤمنين ودعائهم له.

اللهم ارزقنا حبك وحب كل من يحبك وحب كل عمل صالح يقربنا لحبك،اللهم دلنا لهداك واجعل عملنا في رضاك وارزقنا فقهًا وإيمانًا.

الشُّعبةُ الرابعة

الإيمانُ بالكتب

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن أركان الإيمان الستة: الإيمانُ بالكتب.

وهو اليقينُ أنّ الله أنزل كتبًا علىٰ رسله لتهدي البشرية وتعرّفهم بربهم وما يجب له وكيفية عبادته وشرعه ودينه، والإيمانُ أنها كلامه ﷻ لا كلام غيره؛ وإيمان المؤمن بالكتب علىٰ نوعين:

الإيمان بها جملة، وأنّ الله أنزل علىٰ كلِّ رسول كتابًا وشريعة، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحَديد: الآية ٢٥].

فكلُّ رسول قد أنزل اللهُ معه كتابًا يهدي به قومَه، وجعل لهم شريعة تناسبهم يتعبدون الله بها.

النوع الثاني: الإيمان بما سمّىٰ من الكتب علىٰ التفصيل، والتي سمّاها الله لنا هي:

القرآن الكريم، والتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم وموسىٰ.

وأعظمها القرآن العظيم وقد سلِم من التحريف والتغيير، أمّا باقي الكُتب فقد حُرّفت ودخلها التغيير، لأنّ الله أوكل حفظها لعلماء كل مِلة ولكنّهم

حرّفوها وغيّروا فيها وبدّلوا أمّا القرآن فقد تولىٰ الله حفظه.

ولمّا أنزل اللهُ القرآن نسخ جميع الكتب السابقة، وصار مهمينًا عليها، قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: الآية ٤٨].

قال أهل التفسير: (مهيمنًا) أي: مؤتمنًا وشاهدًا علىٰ ما قبله من الكتب.

ومصدِّقًا لها يعني: يصدّق ما فيها من الصحيح، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل وتغيير، وقد أمر اللهُ الخليقةَ كلها بعد نزول القرآن باتباعه فقط فمن أعرض عنه وجحده أو جحد حرفًا واحدًا منه فقد كفر بالله لا يُقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ.

وقد تولىٰ الله - كما تقدّم ذكره - حفظ القرآن العظيم، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحِجر: الآية ٩].

فلا يدخله تحريف أو تبديل نؤمن بهٰذا إيمانًا تامًّا ومن شك في ذلك كفر.

وأمر الله ﷻ نبيه ﷺ بأن يتلو الكتاب ويُبيّنه للناس فقام بذلك أتمّ القيام ولم يكتم منه شيئًا.

وإنزال الكتب دليلٌ علىٰ عناية الله بعباده حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم، وبرهان علىٰ رحمته بهم، فالكتب فيها بيان رضا الله ومواطن سخطه، فيتبعها العبد فينال رحمته، ويتعرّف علىٰ مواضع سخطه فيتجنّبها.

وفي إنزالها - أيضًا - بيان كمال علمه وتمام حكمته، فقد جعل لكلِّ أمّة كتابًا يُناسبها في ذلك الزمان.

الشُّعبةُ الخامسة

الإيمان بالرسل

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالإيمانُ بالرسل هو: التصديقُ الجازم بأنّ الله تعالىٰ قد بعث في كلِّ أمّة رسولًا منهم يدعوهم إلىٰ عبادة الله وحده، والكفر بما يُعبد من دونه، وإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور.

فدعوتهم كانت لإنقاذ البشرية من الشرك والوثنية والأخلاق المذمومة وتطهيرًا للمجتمعات من الفساد.

فيؤمنُ العبدُ بصدقهم وتصديق الله لهم، وقيامهم بواجب البلاغ علىٰ أكمل وجه وأتمّ حال، ويُؤمن بكمال نصحهم لأقوامهم وشدة شفقتهم عليهم، وأنّهم أعبدُ الخلق لربهم، وأكملهم بشرية.

وبدراسة سيرتهم والنظر في أخبارهم يتعرّف العبدُ علىٰ صبرهم في سبيل دعوة أقوامهم.

ويجب علىٰ العبد أن يُؤمن بمن سمىٰ الله لنا منهم، وقد ذكر اللهُ في كتابه خمسة وعشرين نبيًّا، وأولو العزم منهم خمسة وهم: (نوح وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ ومحمد - عليهم الصلاة السلام -) والاعتقاد أنّ أفضلهم وخاتمهم محمد ﷺ.

ونؤمنُ أنّ هناك رسلًا غير المذكورين في القرآن لم يقصّ الله علينا خبرهم، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النّساء: الآية ١٦٤].

والحكمة مِن إرسالهم هي: إقامة الحجة علىٰ العباد، كما قال الله تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النّساء: الآية ١٦٥].

ونعتقد أنّ من كفر بواحد منهم فقد كفر بهم جميعًا فلا يتمُّ إيمانُ العبد إلا بالإيمان بهم جميعًا، وبذا يتبيّن كفر كل من لم يؤمن بنبينا محمد - عليه الصلاة والسلام -، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١].

فتأمّل قول الله تعالىٰ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ [النّساء: الآية ١٥١] الدّال علىٰ كفر من لم يُؤمن بنبينا محمد ﷺ أو غيره من الرسل.

والإيمانُ بالرسل يقتضي: شكر الله علىٰ هذه النعمة، فالعقل البشري لا يستقلّ بما يجب لله، وما هو الطريق الصحيح لعبادة الله تعالىٰ، وتفاصيل ما يُرضيه وما يُسخطه، وتفاصيل الآخرة والحساب ونحو ذلك، فكان من تمام حكمة الله إرسال الرسل فهم رحمة للبشرية ليعرّفوهم كل ما يحتاجونه في هٰذا الشأن.

والإيمان بهم يقتضي - أيضًا -: محبتهم فهم خير خلق الله والمصطَفَون من العباد، والتقرّب إلىٰ الله بهذه المحبّة من أعظم الطاعات.

اللهم ارزقنا الفقه في الدين ومحبة الأنبياء والمرسلين.

الشُّعبةُ السادسة

الإيمان بالقضاء والقدر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالقضاءُ والقدر هو: الإيمان بتقدير الله لمقادير الخلائق، وعلمه بها قبل وجودها، وكتابته لكلِّ شيء وخلقه ومشيئته لها.

فلا يكون في خلقه إلا ما شاء وأراد فهو المالك لهٰذا الكون ومن فيه، ولكمال علمه علِم كل شيء قبل وجوده، وكتب كلَّ شيء وما كان ربُّك نسيًا.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾ [الحَجّ: الآية ٧٠].

وأخرج مسلمٌ رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وعرشه علىٰ الماء**».

وقال سبحانه: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

وقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: الآية ٩٦].

فالإيمان بالقضاء والقدر ينتظم هذه الأمور الأربعة:

علمُ الله بكل شيء، كتابتُه لكل شيء، مشيئتُهُ لكل شيء، خلْقه لكل شيء.

ولا يكتمل إيمان العبد بالقضاء والقدر حتىٰ يُؤمن بهذه الأمور الأربعة.

ولا يعني ذلك أن يركن للقدر السابق ويترك العمل، فهٰذا لم تقل به الشرائع السماوية كلها، ولا يمكن قبوله لأصحاب العقول السليمة وإلا تعطّل الكون، بل يجب أن يعمل العبدُ بما شرعه اللهُ ويرشده إليه العقل الصحيح ممّا يوافق الشرع.

والقدر سِرُّ الله في خلقه؛ وقد نُهي العباد عن التعمّق فيه لأنّه لا يمكن لأحد أن يُدرك كنهه، بل حال من يفعل ذلك كحال من ينظر إلىٰ الشمس - وهي خلْق صغير من خلق الله - ومع ذا لا يستطيع أن يُدرك حقيقتها ويفقد بصره باستدامة النظر إليها، فكيف بالقدر وهو من القضايا العظيمة التي تاهت فيها عقول؟!

ولقد أظهر لله لعباده من علم القدر ما تحتمله عقولهم، ولذلك كانت السلامة التامّة الوقوف مع نصوص الوحيين، وأمّا الخوض فيه بغير علم فهو مظنّة الخطأ الكبير.

واللهُ قد أعطىٰ العبد القدرة علىٰ الاختيار ولم يجبر أحدًا علىٰ المعصية أو الكفر وهٰذا أمر محسوس يشعر به كل أحد ولا يُنكره إلا مكابر، وبعث الرسل، وأنزل الكتب فلا يُعذّبُ أحدًا إلا بعد إقامة الحجة عليه، وقد نزّه نفسه عن الظلم (إذ هو سبحانه لا يحتاج أن يظلم أحدًا).

ومن يحتج بالقدر في أمر دينه تجده لا يحتج بالقدر في أمور دنياه، بل تجده يُنازع فيه ويحرص علىٰ ما ينفعه، بل إن احتُج عليه بالقدر عند التعدي عليه لا يرضىٰ بهٰذا، وهٰذا تناقض في مسلكه (وتناقض القول دليلٌ علىٰ فساده) كما قرر ذلك ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فعلىٰ العبد أن يحرص علىٰ ما ينفعه في أمر دينه كما يحرص علىٰ ما ينفعه في أمر دنياه، وليعلم أنّه لن ينفعه هٰذا الاحتجاج ساعة وقوفه بين يدي ربه إذ لا حجة صحيحة معه، فلا يُغامر المرء في حياته ومصيره الأبدي خصوصًا وقد بيّنت الشريعة كل شيء.

والإيمان بالقضاء والقدر له ثمرات كثيرة، منها:

إنّه يُورث المؤمن به الطمأنينة والسكينة في حياته لعلمه أنّ ما أصابه لم يكن ليُخطئه وما أخطأه لم يكن ليُصيبه.

ومنها: ألَّا يُعجب بعمله فكل توفيق له إنّما هو محض فضل الله تعالىٰ عليه.

ومنها: أن يحرص علىٰ ما ينفعه، فهٰذا توجيه الشرع له وأيضًا هو دلالة العقل الصحيح، والحس والواقع، فما بلغ من بلغ من الخير إلا بالحرص علىٰ نفع نفسه.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا.

الشُّعبةُ السابعة

الإيمان باليوم الآخر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فاليوم الآخر هو: يوم القيامة الذي يقوم فيه الخلائق لربهم ليُحاسبهم علىٰ أعمالهم ويجازيهم بها، وسُمّي اليوم الآخر لأنّه آخر الأيام فليس في الجنّة والنّار أيام، **قال ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وأمّا اليوم الآخر فقيل له ذلك لأنّه: آخر أيام الدنيا).

وقيل: سُمي اليوم الآخر لأنه بعد الدنيا.

وهو يومٌ عظيم وقد وصفه الله بصفات متعددة، وسمّاه بأسماء كثيرة، وبيّن القرآن والسُّنّة أحواله كأنّه رأي عين.

فيجمع الله هذه الأعداد الهائلة التي لا يعلمها إلا هو - وهم بالمليارات بل أكثر بكثير- وهو محيطٌ بهم لا يستطيع أحدٌ منهم الفرار أو التخفي.

والله - سبحانه - عليم بأعمالهم، محيطٌ بحسناتهم وسيئاتهم في قدرة عظيمة، وإحاطة جامعة، وقوة لا يمكن لعقل أن يُدرك كنهها.

ويعلم - سبحانه - مَنْ مِنهم مستحقٌّ دخول الجنّة وفي أي درجة يكون، ومَنْ مِنهم قد استوجبت سيئاته دخوله النّار، وفي أي درك يكون؛ فسبحانه مِن إله عليم قدير.

والإيمان باليوم الآخر يقتضي الإيمان بكل ما جاء في الوحيين (الكتاب

والسُّنّة) من أحواله وتفاصيل ما يحصل فيه، من النفخ في الصور وخروج الخلائق من قبورهم وقيامهم لربهم، وعرضهم علىٰ ربهم، وحسابهم بين يديه، ونصب الصراط علىٰ متن جهنم، وتطاير الصحف، والمجادلات العظيمات بين الله وعباده، وبين الرسل وأممهم، والخلق بعضهم مع بعض.

ومن حضور الشهداء من الرسل والملائكة وشهادة الأرض والأعضاء ونحوها في أحداث عظيمة تجعل الناصح لنفسه يستعد له أعظم الاستعداد.

ويدخل فيه: الإيمان بما يحصل في الكون من تغيّرات عجيبة من تكوير الشمس وذهاب نورها، وخسف القمر وذهاب ضوئه، وتساقط النجوم، وتحرك الجبال من أماكنها وتسييرها ونسفها، وحشر الوحوش وجمعها، وتسجير البحار واشتعال النار فيها، وتغيّر السماء وتفتّح أبوابها. . وغير ذلك من الأهوال ممّا يشيب لأجله الولدان وتضع كل ذات حملها، ولشدته يهربُ الوالد من ولده، والولد من والده، والزوج من زوجه، والأخ من أخيه لانشغال كل امرئ بنفسه واهتمامه بشأنه فقط.

وفي ذلك اليوم تظهر الحقائق الغائبة فيؤمن الكافر ويُوقن الشاك ولكنّه يومٌ لا ينفع فيه الإيمان لأنّ الله ابتلىٰ العباد ليُؤمنوا به في الغيب، فمن آمن به غيبًا وعمل للنجاة منه هو الفائز المُفلح.

والإيمانُ باليوم الآخر من أعظم أركان الإيمان بعد الإيمان بالله، فإنّه لم يحصل إنكار من الكافرين لشيء مثل إنكارهم للتوحيد واليوم الآخر، والعبد متىٰ ما أيقن به صلحت أعماله.

فتذكُّره دومًا يحمل علىٰ العمل للنجاة من أهواله، وعلىٰ البعد عن ظلم العباد، فتصلح بهٰذا دنيا الناس وآخرتهم.

ويدخل في الإيمان الآخر ما يلي:

الشُّعبةُ الثامنة

الإيمان بسؤال القبر ونعيمه وعذابه

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فقد روىٰ هانئ مولىٰ عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كان عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا وقف علىٰ القبر بكىٰ، حتىٰ يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي من هٰذا؟ فقال: إنّ رسول الله ﷺ قال: «**القبرُ أوّل منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشدّ**».

وقال ﷺ: «**ما رأيتُ منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه**» رواه الترمذي.

والحياة في القبر هي: حياة البرزخ التي جاء ذكرها في قوله تعالىٰ: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٠].

وأهل السُّنّة والجماعة يؤمنون بنعيم القبر وعذابه، وسؤال الملَكين كما جاء ذكره في النصوص الصحيحة عن رسول ﷺ، وأنّ الخلق يُمتحنون في قبورهم، ويُسألون ثلاثة أسئلة:

من ربك؟

ما دينك؟

مَنْ نبيك؟

فأمّا المؤمن فيُثبته الله، ويُسدّدُه في الجواب وذلك قولُ الله تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ

ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧].

وأمّا الكافر والفاجر فيقول: «هاه هاه لا أدري، فيُضربُ بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين (أي: الإنس والجنّ) ويضيق عليه قبره وتختلف فيه أضلاعه وينادي منادٍ أن كذب عبدي فأفرشوه من النار، وألبسوه من النار، وافتحوا له بابًا إلىٰ النار فيأتيه من حرها وسمومها» رواه أحمد.

وأمّا المؤمنُ الذي يُجيب بما يُرضي الله عنه:

ف«ينادي له مناد من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلىٰ الجنة، فيأتيه من روْحها وطِيبها، ويُفسح له في قبره مدّ بصره، يُملأ عليه خَضِرًا، ويأتيه رجلٌ حسن الوجه حسن الثياب، طيب الريح، فيقول: أبشر بالذي يسرك، هٰذا يومك الذي كنت تُوعد، فيقول له المؤمن: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح» رواه أحمد.

فتأمّل الفرق بين حال المؤمن في قبره وكيف يبقىٰ في نعيم متصل حتىٰ تقوم الساعة، وبين حال الفاجر الذي يُعذّب العذاب الأليم.

والمعذّبُون في قبورهم من أهل القبلة تختلف أحوالهم، فمنهم من يناله فترة قصيرة ثمّ ينقطع عنه، ومنهم من يطول عليه عذابه ثمّ ينقطع، ومنهم من يمتدُّ حتىٰ يرد النّار - عياذًا بالله - كل ذلك بحسب أعمالهم.

وأما الكافرُ فعذابه أبديٌّ سرمدي من حين موته حتىٰ يرد النار- نسأل الله السلامة والعافية -.

وقد جاءت نصوصٌ كثيرةٌ توضح أحوال المعذَّبين في قبورهم كتاركي

الصلاة والذين ينامون عنها، وأكلة الربا، والزناة والزواني، والمغتابين، والكذّابين، والنمّامين، والذين لا يتنزهون من البول، فينبغي للناصح لنفسه أن يحذر من هذه الأعمال وغيرها ممّا يكون سببًا لهٰذا العذاب.

والإيمان بنعيم القبر وعذابه من عقيدة أهل السُّنّة والجماعة لورود النصوص الصحيحة بذلك كقوله ﷺ: «**تعوّذوا بالله من عذاب القبر**» رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «**إن هذه الأمة تُبتلىٰ في قبورها، فلولا ألا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعَكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**» رواه مسلم.

وأمر رسول الله ﷺ المصلي أن يتعوّذ من عذاب القبر دُبر كلِّ صلاة، فقال: «**إذا تشهَّد أحدُكم فليتعوَّذ من أربع: من عذاب القبر، ومن عذاب جهنم، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدَّجَّال**» رواه مسلم.

وعذابُ القبر ونعيمه حقٌّ وإن لم يره النّاس إلا أنّ المؤمنين يُؤمنون به لورود النصوص الصحيحة بذلك، ولإيمانهم بقدرة الله علىٰ كلِّ شيء.

اللهم قنا ووالدينا وأهلينا والمسلمين عذاب القبر وفتنة القبر،
واجعل قبورنا رياضًا من رياض جنتك.

الشعبة التاسعة

الإيمان بالبعث والنشور

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن شُعب الإيمان: الإيمان بالبعث والنشور.

وحقيقته: الإيمان ببعث الأجساد بعد موتها، وقيامها للحساب بين يدي الله تعالىٰ.

وهٰذا أمر حقٌّ لا مرية فيه ولا شك؛ أبانته النصوص الكثيرة من كتاب الله وسنّة نبيه ﷺ، قال الله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٦، ٧].

وقد أنكر الكفّارُ بعث الأجساد بعد موتها، واستبعدوا ذلك لسفههم، وضعف عقولهم، وإلا فمن أنشأ الخلق من عدم قادرٌ علىٰ أن يعيده، بل ذلك أهون عليه قال الله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الرُّوم: الآية ٢٧].

فمن قدر علىٰ الابتداء قادرٌ - ولا شك - علىٰ الإعادة.

ولمّا استبعد الكفّارُ إعادة الاجساد واستنكروه ردّ عليهم القرآن بقدرة الله علىٰ ما هو أشد من ذلك وإعادتهم سواءً كانوا حجارة أو حديدًا، وذلك

لكمال قوته سبحانه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقًا جَدِيدٗا ٤٩ قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا ٥٠ أَوۡ خَلۡقٗا مِّمَّا يَكۡبُرُ فِي صُدُورِكُمۡۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَاۖ قُلِ ٱلَّذِي فَطَرَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖۚ فَسَيُنۡغِضُونَ إِلَيۡكَ رُءُوسَهُمۡ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَۖ قُلۡ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبٗا﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١].

والبعث والنشور فيه دلالة علىٰ عظمة الله، وإحاطته بعباده، وقدرته علىٰ كلِّ شيء، فأينما يكون الخلق يأتي بهم الله جميعًا، فلو غرقوا في قاع البحار، أو غابوا تحت سفوح الجبال، أو حُرِّقوا فصاروا رمادًا، فاللهُ يبعث هذه الأجساد مهما تفرَّقت.

بل إنّ بعثه لهذه الخلائق كلها بهذه الأعداد الهائلة هو كبعث نفس واحدة، فسبحانه مِنْ إله قدير، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا خَلۡقُكُمۡ وَلَا بَعۡثُكُمۡ إِلَّا كَنَفۡسٖ وَٰحِدَةٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ٢٨﴾ [لقمان: الآية ٢٨].

وبعْث الله ليس فقط لبني الإنسان، بل يبعث - سبحانه - الجنّ والإنس والحيوانات ويحشرها ليقضي بينهما؛ وذلك لتمام عدله سبحانه.

والبعث - أيضًا - من دلائل عدل الله فالمظلوم يموت ولم يأخذ حقه ممّن ظلمه فكان من تمام العدل أن يكون هناك بعث وحساب ممّا أخبر الله به ممّا يكون في الدار الآخرة، ولذا كان الإيمان بالبعث والحساب أعظم ما يسلي كل مظلوم، وهو - أيضًا - رحمة للجميع حتىٰ لا يتمادىٰ الظالم في ظلمه خوفًا من تبعات ظلمه.

فاللهم ارحمنا يوم بعثنا ونشرنا يا أرحم الراحمين.

الشعبة العاشرة

الإيمان بالشفاعة العظمىٰ لنبينا ﷺ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

وحقيقتها: الإيمانُ بشفاعة النّبي - عليه الصّلاة والسّلام - للخلائق عند ربهم ليقضي ويفصل بينهم يوم القيامة.

وذلك أنّ النّاس عندما يقومون من قبورهم ويسيرون لأرض المحشر يقفون بعدها طويلًا ويلحقهم التعب الشديد، فيقولون من يشفع لنا عند ربنا حتىٰ يقضي بين العباد، فيأتون أبا البشر آدم عليه السلام فيعتذر لهم ثمّ يأتون كبار الأنبياء (نوحًا وإبراهيم وموسىٰ وعيسىٰ - عليهم الصلاة والسلام -) وكلهم يعتذرون ويقولون: لسنا لها، فيأتون سيد الأنبياء وإمام المرسلين محمدًا ﷺ، فيقول: «**أنا لها، أنا لها**» رواه مسلم.

وهذه الشفاعة هي: المقام المحمود الذي ذكره الله ﷻ في كتابه ووعده نبيه ﷺ، وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسأله له بعد كل أذان، فهو المراد بقول الله تعالىٰ: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: الآية ٧٩].

فيحمده الخلائقُ كلُّهم.

وهذه هي: الشفاعة العُظمىٰ التي تظهر معها مكانته للعاملين، ويعرف الخلائق منزلته عند ربِّ العالمين.

وللنبي ﷺ شفاعات أخرىٰ - منها ما هي خاصة به - وهي:

(الشفاعة لأهل الجنة في دخولها فلا يدخلها أحدٌ إلا بعد شفاعته - وهٰذا من دلائل شرفه وعلو منزلته عند الله تعالىٰ، ومنها: شفاعته لعمه أبي طالب في تخفيف العذاب عنه، ومنها: شفاعته ﷺ في دخول أناس من أمته الجنة بغير حساب) وقد وردت بكل ذلك أحاديث صحيحة.

وهناك الشفاعة العامة التي يشاركه فيها غيره من الخلق، وهي:

(الشفاعة لأناس قد استحقوا النار ألَّا يدخلوها، والشفاعة لأناس قد دخلوا النار أن يخرجوا منها، الشفاعة لأناس من أهل الإيمان أن ترتفع درجاتهم في الجنة) ووردت بكل ذلك - أيضًا - أحاديث صحيحة.

وهذه الشفاعات تدل علىٰ رحمة الله بعباده، وكرامته للشافعين حتىٰ تظهر مكانتهم للخلق.

ولا ينتفع بهذه الشفاعات إلا أهل الإخلاص الذين أخلصوا دينهم لله.

وهذه الشفاعة لها شرطان حتىٰ تكون مقبولة عند الله، وهي:

إذن الله بها، ورضاه عن الشافع والمشفوع له.

وهنا ننبه لمسألة مهمة:

وهي أنّ بعض النّاس يقعون في الشفاعة الشركية المحرمة، وهي طلب الشفاعة من الأموات ظانين أنّ هٰذا جائز وأنّه نافعهم، وهو من أبطل الباطل الذي يجب تجنّبه وإن كان المدعو رسولَ رب العالمين، وقد سُئل الإمام عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ هٰذا السؤال: كثير من الناس يقولون الشفاعة يا محمد. هل هي شرك، وإن كان شركًا ماذا يقولون؟

فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ:

(طلب الشفاعة من النبي ﷺ أو من غيره من الأموات لا يجوز، وهو شرك أكبر عند أهل العلم؛ لأنّه لا يملك شيئًا بعدما مات - عليه الصلاة والسلام- والله يقول: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٤]). انتهىٰ كلامه.

فلنحذر من هٰذا المسلك الخطير، فكثير من المسلمين - وللأسف يقعون فيه - وهو شرك أكبر محبط للعمل.

اللهم ارزقنا شفاعة نبيك عليه الصلاة والسلام ولا تحرمنا بذنوبنا هٰذا الفضل يا رحمن.

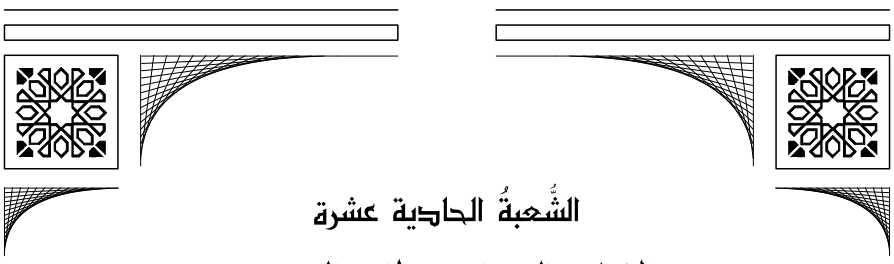

الشُّعبةُ الحادية عشرة

الإيمان بالحساب وتطاير الصحف

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن شعب الإيمان: الإيمان بالحساب وتطاير الصحف.

وحقيقتُه: اليقينُ الجازم أنّ الله سيحاسب الخلائق كلهم علىٰ أعمالهم، ويجازيهم بها، وهٰذا من تمام عدل الله تعالىٰ، فالنّاسُ في الدنيا متفاوتون في أعمالهم فلا بد أن يكونوا متفاوتين في جزائهم يوم القيامة.

وحساب الله للعباد دائر بين العدل التام والفضل الشامل، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النِّساء: الآية ٤٠].

فإن عَذّبَ فبعدله وما ربُّك بظلام للعبيد، وإن أحسن فبفضله وهو الجواد الكريم.

وهو - سبحانه - يجازي بالسيئة مثلها أو يعفو عنها، ويجازي بالحسنة عشر أمثالها ويضاعفها بلا حدود.

وهناك طائفةٌ من أهل التوحيد يُدخلهم الله الجنّة بلا حِساب كما جاء ذكرهم في حديث السبعين ألفًا وهٰذا من كرامة الله لهم، أمّا بقية الخلائق فيُحاسبون.

وحساب الله نوعان:

(حساب عرْض) فتُعرض علىٰ المؤمن حسناته، فيفرح بها ويجازيه اللهُ عليها أحسن الجزاء، وتُعرض عليه ذنوبه وسيئاته، ويضع اللهُ عليه كَنَفه وستره عليه، فيُقرّ بها ويعترف، فيغفرها الله تفضّلًا منه ورحمة.

والنوع الثاني:

(حساب مناقشة) وهو لطائفتين:

- لعصاة المسلمين الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم بالذنوب ولم يغفرها الله لهم، فيوقفهم عليها ويعترفون بها ويعاقبهم عليها بدخول النّار ثمّ يُخرجهم اللهُ منها رحمة منه وفضلًا، فالخلودُ في النّار إنّما هو للكافرين.

- حساب مناقشة الكافرين والمشركين، فهؤلاء يُحاسبهم الله ويقرّرهم بذنوبهم، وتشهد عليهم الأرض وجوارحهم، ويشهد عليهم الملائكةُ الحافظون، فلا يستطيع أحدُهم إنكار ذنب، أو التخلص من خطيئة، ثمّ يُؤخذ بهم إلىٰ النّار أبد الآباد.

وحسابُ الله دقيق وسريع وعادل يدلّ علىٰ عظمته وتمام إحاطته بأعمال الخلائق فسبحان من علم مثاقيل الذر من أعمال العباد.

وينبغي للعبد أن يتذكر هٰذا الحساب ويستعدّ له ويُحاسب نفسه قبل أن يُحاسبه الله، فمن حاسب نفسه في الدنيا فعمِل الطاعات وتحرّز من الخطيئات هان عليه الحساب هناك.

ومن تأمّل في سير السلف الصالح وجدهم يحاسبون أنفسهم أشدَّ المحاسبة، ويحتاطون لهٰذا الحساب ويخافون ساعة الوقوف بين يدي الله تعالىٰ، فليكن للعبد في هؤلاء أسوة حسنة، فإنّ سلوك طريقهم هو سبيل النجاة.

وتطاير الصحف يوم القيامة جاء ذكره في كتاب الله تعالىٰ وفي سُنة النبي ﷺ، يقول الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ سورة الحاقة.

وروىٰ الإمام أحمد، عن أبي موسىٰ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ بيمينه وآخذ بشماله**» أخرجه أحمد والترمذي.

قال بعض أهل العلم: «وبعد الحساب الأول تتطاير الصحف، والحساب الأول من ضمن العرض لأنه فيه جدال ومعاذير ثم بعد ذلك تتطاير الصحف ويُؤتىٰ أهل اليمين كتابهم باليمين، وأهل الشمال كتابهم بشمالهم فيكون قراءة الكتاب، ثم بعد قراءة الكتاب يكون هناك حساب أيضًا لقطع المعذرة وقيام الحجة بقراءة ما في الكتاب...» شرح الطحاوية للشيخ صالح آل الشيخ.

اللهم يسر حسابنا وبيِّض كتابنا واغفر لنا ذنوبنا وتجاوز عن خطيئاتنا يا أرحم الراحمين.

الشُّعبةُ الثانية عشرة

الإيمان بالحوض المورود

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فحقيقة الإيمان بالحوض المورود هي: الإيمان بحوض قد جعله اللهُ لنبيه ﷺ وأكرمه به في عرصات يوم القيامة، يَصُبُّ فيه نهر الكوثر «يشخب فيه ميزابان من الجنّة، من شرب منه لم يظمأ» كما صح بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ وهو في صحيح مسلم.

وأمّا صفاته: «فماؤُه أحلىٰ من العسل، وأبيضُ من اللبن، وريحُه أطيب من المسك، عدد آنيته أكثر من عدد نجوم السماء، من يشرب منه لا يظمأ بعده أبدًا، طوله مسيرة شهر، وعرضه مسيرة شهر» وفي كل ذلك وردت أحاديث صِحاح.

وهو موجودٌ الآن، نؤمن بذلك لورود الخبر الصحيح عن نبيّنا ﷺ، فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ خرج يومًا فصلىٰ علىٰ شهداء أُحد صلاته علىٰ الميت ثمّ انصرف إلىٰ المنبر، فقال: «**إني فرطكم (أي: متقدّمكم وأمامكم) وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلىٰ حوضي الآن**».

قال النووي: «وهٰذا تصريح بأنّ الحوض حقيقي علىٰ ظاهره، وأنّه مخلوق موجود اليوم».

وقال الشيخ ابن عثيمين: «والحوض موجود الآن».

وهو في عرصات يوم القيامة يَرِده أهل الإيمان والتقوىٰ المتمسّكون بالسُّنّة الثابتون عليها، فإذا قاموا من قبورهم في ذلك اليوم العصيب وردوا علىٰ نبيهم ﷺ فيشربون ويرتوون منه، وأمّا أهل النفاق والتغيير والتبديل فيُطردون منه حتىٰ أنّ النّبي ﷺ يعجبُ من طردهم ويقول: «**أصحابي، فتقولُ الملائكة: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» رواه مسلم.

فحذار حذار من البدع، ومخالفة نهجه.

ولكل نبي من الأنبياء حوضٌ ترده أمته، وأكثر الأحواض وُرودًا حوض نبينا محمد ﷺ وفي هٰذا شرف عظيم وميزة له ولأمّته.

اللهم أوردنا حوضه واسقنا من يده الشريفة شربة لا نظمأ بعدها أبدًا.

الشعبة الثالثة عشرة

الإيمان بالميزان

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فحقيقة الإيمان بالميزان هي: الإيمان بميزان يُنصب يوم القيامة لوزن أعمال العباد.

وهو ميزانٌ حقيقي له كفتان حسيتان، ولا يعلم عظمته ومقداره إلا الله تعالىٰ.

قال الله سبحانه: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧].

وقال: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المؤمنون: ١٠٢- ١٠٣].

(ووزنُ أعمال العباد يكون بعد الانتهاء مِن محاسبتهم، وهو تكملةٌ لها) قَالَه الإمامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومن تمام عدل الله وسعة رحمته أنّ المعاصي لا تُضاعف علىٰ أصحابها إلا إذا كان العبدُ سببًا فيها فإنّها تُوضع عليه تبعات عمله، وفي هٰذا تحذير من أن يسلك العبد مسلك دعاة السوء، فهو في حقيقته رحمة للعبد حتىٰ لا يكون سببًا في نشر المعصية، ويبقىٰ العاصي علىٰ معصيته إن عجز أن يتخلّص

منها.

وبالمقابل نرىٰ فضل الله في باب الطاعات، فهناك أعمالٌ كثيرة تثقل في الميزان فضلًا من الله ومِنّة، من أعظمها:

كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) فهي أعظم ما يُثقل الميزان.

ومنها: التسبيح بـ(سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) فهي مع يسرها وسهولتها إلا أنّها ثقيلةٌ في الميزان.

وقول: (سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزِنة عرشه، ومِداد كلماته) فهي كلماتٌ ثقيلة في الميزان أيضًا.

ومثلها: حُسن الخلق فهو أثقل ما يُوضع في ميزان العبد وغيرها من الأعمال الصالحة التي صحت النصوص بها.

وممّا يثقل به ميزان الحسنات: الدلالة علىٰ الخير؛ فكل عمل صالح دللت عليه غيرَك لك أجر كل من عمل به ليثقل به ميزان حسناتك وهٰذا من فضل الله تعالىٰ ليسلك العباد طرق الدلالة علىٰ الخير.

والموزون في الميزان متعدد كما وردت بذلك النصوص.

فتُجسّم الأعمال وتُوزن، ويُوزن العامل، وتُوزن صحف الأعمال وقد جاءت بكل ذلك الأدلة الصحيحة.

وينبغي للعبد أن يدعو ربه بأنّ يُثقّل اللهُ ميزان حسناته، فقد كان نبينا محمد ﷺ يدعو بهٰذا، فعن أبي زهير الثقفي قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه قال: «**باسم الله وضعت جنبي، اللهم اغفر ذنبي، وأخسئ شيطاني، وفُك رِهاني، وثقّلْ ميزاني، واجعلني في النّديّ الأعلىٰ**».

فاللهم ثقّل ميزاننا بالأعمال الصالحة.

الشُّعبةُ الرابعة عشرة

الإيمان بالصراط

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فحقيقة الإيمان بالصراط هي: الإيمان بصراط خلقه الله، وهو جسرٌ يُوضع علىٰ متن جهنّم «دحضٌ مزلّة تزلَقُ عليهِ الأقدامُ ولا تَثْبُتُ» كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في صحيحي البخاري ومسلم.

ولا يمكن الوصول إلىٰ الجنّة إلا بعد المرور علىٰ هٰذا الصراط، فإنّه يُوضع فوق جهنّم، ويمرّ عليه الخلق، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: الآية ٧١].

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: فسرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنّ الورود هو: المرور والعرض عليها.

ووَصَفَ النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أحوالَ الناس في المرور علىٰ الصراط كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فيمر أوَّلكم كالبرق قال: قلت بأبي أنت وأمي أي شيء كمرِّ البرق؟ قال: ألم تروا إلىٰ البرق كيف يمرُّ ويرجع في طرفة عين، ثم كمرِّ الريح، ثمّ كمرِّ الطيور، وشدّ الرجال تجري بهم أعمالُهم، ونَبيُّكم قائمٌ علىٰ الصراط يقول: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ حتىٰ تعجز أعمال العباد، حتىٰ يجيء الرجلُ فلا يستطيعُ السير إلا زحفًا، قال: وفي حافتي الصراط كلاليب معلّقة مأمورة بأخذ من أُمرت به، فمخدوشٌ ناج، ومكدوس في النار، والذي نفسُ**

أبي هريرة بيده إنّ قعر جهنم لسبعون خريفًا» رواه مسلم.

وفي رواية للبخاري، قال: «**حتىٰ يمرّ آخرهم يُسحبُ سحبًا**».

وفي روايةٍ لمسلمٍ قال: «**ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أوّلُ زمرة كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يُحاسَبُونَ، ثمّ الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء**».

ويُعطىٰ النّاسُ أنوارًا علىٰ قدر أعمالهم، ففي رواية الطبراني وصححها الألباني، قال: «**فيرفعون رؤوسهم، فيُعطيهم نورهم علىٰ قدر أعمالهم، فمنهم من يُعطىٰ نوره مثل الجبل العظيم يسعىٰ بين يديه، ومنهم من يُعطىٰ نوره أصغر من ذلك، ومنهم من يُعطىٰ نورًا مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعطىٰ نورًا أصغر من ذلك حتىٰ يكون رجلًا يُعطىٰ نوره علىٰ إبهام قدمه يُضيء مرة ويُطفئ مرة، فإذا أضاء قدّم قدمه فمشىٰ، وإذا طفئ قام...**» فاللهم رحماك بنا يا أرحم الراحمين.

وجديرٌ بالمؤمن الناصح لنفسه العمل علىٰ النجاة من هذه الأهوال الجسام، ولا نجاة بعد رحمة الله إلا بالإيمان بالله والأعمال الصالحة.

وأولُ من يُجيز الصراطَ رسولُنا ﷺ وأمّتُه - كرامة لهم وليرتاحوا من أهواله - قال ﷺ: «**ويُضْرَبُ الصِّرَاطُ بينَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فأَكُونُ أَنا وأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجيزُ**» رواه مسلم.

ولِعِظَمِ ذلك الموقفِ لا يستطيعُ أحدٌ أن يتكلَّم إلاَّ الرُّسل - عليهم الصلاة السلام -، قال ﷺ: «**ولا يَتَكَلَّمُ يومئذٍ إلاَّ الرُّسُلُ، ودَعْوَىٰ الرُّسُلِ يومئذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ**» متفق عليه.

فإذا جاوَزَ المؤمنون الصِّراط حُبسُوا بقنطرةٍ (وهو مكان بين الجنّة والنّار) لِيَقْتَصَّ بعضُهُم من بعضٍ، قال: «**إذا خَلَصَ المؤمنُونَ مِنَ النَّارِ حُبسُوا بقَنْطَرَةٍ**

بينَ الجنَّةِ والنَّارِ، فيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كانتْ بينهُمْ في الدُّنيا، حتَّىٰ إذا نُقُّوا وهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بدُخُولِ الجنَّةِ، فوالذي نَفْسُ محمَّدٍ بيَدِهِ لأَحَدُهُمْ بمَسْكَنِهِ في الجنَّةِ أَدَلُّ بمَنْزِلِهِ كانَ في الدُّنيا» رواه البخاري.

وقال: «**وتُرْسَلُ الأمانةُ والرَّحِمُ، فتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّراطِ يَمِينًا وشِمَالًا**» رواه البخاري.

وذلك لعظم شأنهما، **قال ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: (يُوقَفَانِ هُناكَ للأمينِ والخائنِ والْمُوَاصِلِ والقاطِعِ، فيُحَاجَّانِ عن الْمُحِقِّ، ويَشْهَدانِ علىٰ الْمُبْطِلِ) انتهىٰ كلامه.

نؤمن بذلك كله لورود بهٰذا كله الأخبار الصحيحة الثابتة ولا نردّ الأمر لعقولنا، فكثير من الأمور في حياتنا الدنيوية ربما تُردّ إلىٰ العقل فيُنكرها المرء أوّل مرة ثمّ بعد فترة لا يلبث أن يعترف بها وهي من صنع الإنسان الضعيف، فكيف بقدرة الله الذي هو علىٰ كلِّ شيء قدير؟!

وأخبار الغيب - ممّا جاء في كتاب الله وصحيح السُّنّة - جعل الله الإيمان بها من صفات المؤمنين التي مدحهم بها في كتابه.

وأهوال الصراط هي آخر أهوال يوم القيامة.

تنبيه:

المرور علىٰ الصراط خاصٌّ بالمسلمين، أمّا الكفّار فيُساقون إلىٰ جهنّم مباشرة - والعياذ بالله - فالأمم الكافرة تُنصبُ لهم آلهتُهم التي عبدوها من دون الله، فتسير تلك الآلهة بعابديها نكاية بهم حتىٰ تهوي بهم في النار، كما ورد بذلك حديث أبي سعيد الخدريّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهو في الصحيحين.

اللهم ارحمنا في ذلك اليوم ويسر مرورنا علىٰ الصراط.

الشعبةُ الخامسة عشرة

الإيمانُ بالجنّة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالجنّةُ هي دار المتقين، ومسكنُ السعادة، ومنزل الرضا، وموطن الخيرات، ومحلّ الحبور والمكرمات، وهي الدار التي وعدها اللهُ عبادَه المؤمنين، وأبلغ وصف لها ما جاء في قوله الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السَّجدَة: الآية ١٧].

وما جاء في قوله ﷺ: «**فيها ما لا عينٌ رأيت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر علىٰ قلب بشر**» رواه البخاري.

وهي دارٌ جمعت النعيم كله بحذافيره ومن جميع أطرافه، فما ظنّك بدار أراد اللهُ إكرام أوليائه بها، وجعلهم بالقرب منه، وجمعهم برسله وأصفيائه، ووعد أهلها بالسعادة الدائمة، والنعيم المقيم الذي لا يزول ولا يحول.

والجنّةُ جمعت نعيم الروح والجسد والقلب، ففيها لذة المآكل، وطيب المشارب، ومتع الشهوات، في زيادة لا منتهىٰ لها - وايمُ الله - لو عقل المرء هٰذا الأمر علىٰ حقيقته ما ترك لحظة دون العمل للجنّة ولكنّ الغفلة طغت علىٰ النفوس -إلا من رحم الله- والضعف والتكاسل عن العمل الصالح ظاهر علىٰ الجميع، ولكن من رحمة الله أن رضي من العبد بالقليل ليثيبه بالكثير، وعلم ضعف النفوس فرحمها.

ومن سعة جوده- سبحانه- أنّه يُثيب عباده المؤمنين علىٰ عباداتهم هذه المدة اليسيرة في الدنيا ببقاء أبدي سرمدي في دار النعيم المقيم، وهٰذا جودٌ لا مثيل له ولا نظير.

وفي كتاب الله تعالىٰ وسنّة نبيه ﷺ بيان شاف، ووصف واف لهذه الدار الطيبة، وتشويق للنفوس الطامعة في فضل ربها، فوُصِفت بأكمل الوصف وأتمّه وأوضحه.

وُصِف طعامُها وشرابها وأنهارها وعيونها وسررها وفرشها ووُصِف خدم أهل الجنّة ونساؤهم وكأنّ القارئ يراها رأي عين.

قال الله تعالىٰ في وصف بعض نعيم الجنة: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان: ٥١- ٥٧].

وأعظم وأشرف ما في الجنّة: رؤية الله ﷻ فيها، في نعيم ولذة ينسىٰ الله معه أهلُ الجنّة كل نعيم هم فيه، فاللهم تفضّل علينا بنعيمها وحسن جوارك.

ومما يجهله الكثير أنّ نعيم المؤمن يبدأ من ساعة وفاته وقبل قيام الساعة، ويكمل نعيمه بعد قيامها وانتهائه من الحساب يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**إنَّما نسَمةُ المؤمنِ طائرٌ يَعلَقُ في شجرِ الجنَّةِ حتَّىٰ يرجعَ إلىٰ جسدِهِ يَومَ يُبعَثُ**» رواه ابن ماجه وهو حديث صحيح.

وأهلُ الإيمان في الجنة درجات بعضُهم أرفع من بعض وذلك بحسب

إيمانهم وأعمالهم الصالحة حتىٰ أنّهم ليُشاهدون أهل الغرف العالية كما يرىٰ أهلُ الدنيا الكوكبَ الغابر المرتفع في أعلىٰ السماء، والعاقل الناصح لنفسه هو من يسعىٰ لنيل تلك المنازل، ويحرص أن يكون من أهلها.

ودخول الجنّة لأهل (لا إله إلا الله) علىٰ مرتبتين:

الأول: دخولٌ أوليٌّ بلا حساب ولا سابق عذاب، وطائفة تُحاسب وتنال من شدة الحساب ما تنال ولكنّ الله يستر عليهم سيئاتهم ويغفر لهم ذنوبهم ثمّ يُدخلهم الجنّة.

الثاني: دخولٌ متأخرٌ وهو لمن استوجبت سيئاتُهم دخول النار ثم يُنجّيهم الله منها ويتفضّل عليهم بدخول الجنّة وهؤلاء هم أهل التوحيد فقط لأنّ الله حرّم الجنّة علىٰ الكافرين.

فلتهنأ النفوس المؤمنة بتلك الدار، ولتصبر في الدنيا علىٰ طاعة ربها، واجتناب مساخطه، فالأمر إنّما هو صبرُ أيام.

اللهم أكرمنا بدار كرامتك، ولا تحرمنا فضلك وإحسانك.

الشعبةُ السادسة عشرة

الإيمانُ بالنار

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فحقيقة الإيمان بالنار هي: الإيمان بأنّ الله خلق دارًا يُعذّبُ بها من كفر به وأشرك وعصاه، وتجاوز حدوده، فهي للمتمردين علىٰ شرعه، المكذّبين لرسله.

وهي سجنُه التي يسجن فيها المجرمين، والخزي الأكبر الذي لا خزي فوقه للظالمين، والخسران العظيم الذي لا خسران أفظع منه في العالمين، ولذا كان من دعاء المؤمنين: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩٢].

والنّارُ دارٌ جمعت كل عذاب؛ ففيها عذاب الأجساد بأنواعه كما وصف كتابُ الله وسُنّة النبي ﷺ ذلك، وفيها الخزي والنكال، وفيها العذاب النفسي، والألم القلبي علىٰ فوات دار النعيم ودخول دار الجحيم.

وقد ذكر اللهُ لنا أنواعًا من عذابها لتحذره النفوس، وتخافه القلوب، وتعمل علىٰ النجاة منه.

فذكر طعامَ أهل النّار وشرابهم ولباسهم وفرشهم، وعذابهم النفسي، ولوْم بعضهم بعضًا، ولعْن بعضهم بعضًا، وانقطاع أملهم في النجاة منها... وغيرها

من أنواع العذاب كل ذلك ليحذر المؤمن منها.

قال الله تعالىٰ في وصف بعض عذاب النار: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ٢١ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ [الحج: ١٩-٢٢] والآيات في وصفها كثيرة، فعلىٰ الناصح لنفسه قراءتها بحضور قلب ويعمل علىٰ النجاة منها.

ودخول النّار علىٰ نوعين:

- دخولٌ مؤقتٌ بوقت محدد ثمّ ينتهي، وهو للعصاة من الموحدين الذين لم يغفر اللهُ لهم ذنوبهم، واستوجبوا دخول النّار بسبب هذه الذنوب، وهؤلاء يدخلونها ثمّ يخرجهم اللهُ منها متىٰ شاء، ومدة بقائهم فيها متفاوتة، فبعضُهم يطول بقاؤه فيها، وبعضهم دون ذلك.

وعلىٰ الموحد أن يحذره غاية الحذر، فبقاء المرء لحظة واحدة في النار أمر لا يُطاق، فكيف بمن يطولُ بقاؤه فيها؟!

والنوع الثاني: دخولٌ أبديٌّ لأهل الكفر والشرك والنفاق الأكبر وهؤلاء لا يخرجون منها أبدًا، وهو الأمر الفظيع الذي لا يمكن تصوّر شدته وفظاعته.

ومن تأمّل في دوام عذاب أهلها السرمدي حار تفكيرُه وتبلّد ذهنُه وهو يستحضره، فهو أمرٌ فظيع جدًّا، فلك أن تتخيّل عذابًا أبديًّا لا ينقطع ولا ينتهي، فهل تصوّرت شناعته وشدته؟!

فابتعد كلّ البعد عن الكفر، واحذر كل الحذر من الشرك، واحذر من الذنوب والإصرار عليها فإنّها كما قيل: بريد الكفر.

وجدد توبتك كل يوم واجعل هٰذا هديك الدائم.

وكما أنّ الجنّة درجات بعضها فوق بعض، فالنّار دركات بعضها أسفل من بعض لتفاوت الكافرين وأعمالهم، وهٰذا من تمام عدل الله.

وقد بيّن الكتاب والسنة أسباب دخول النار، وأسباب النجاة منها، فعلىٰ العبد أن يتعرّف عليها ويجتهد في الفكاك منها.

فاللهم أعذنا وأهلينا والمسلمين من عذابها وحرّمنا علىٰ النار.

الشعبة السابعة عشرة

الخوف من الله

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالخوفُ من الله عبادةٌ جليلة وصف اللهُ بها أولياءه، وأثنىٰ بها علىٰ أصفيائِه، ومدح بها الخُلّص من عباده.

فهاهم ملائكةُ الرحمن، العارفون بربهم، يصف اللهُ خوفهم منه، ورهبتهم من عظمته، بقوله - سبحانه - عنهم: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النّحل: الآية ٥٠].

وأنبياء الله ورسله - وهم أعرف الخلق بالله - يخافون ربهم ويخشونه قال الله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٣٩].

ويظهر خوفهم وخشيتهم من ربهم في عباداتهم ودعوتهم وحياتهم كلها.

والخوف من الله: عبادةٌ قلبية سرية لا يطلع عليها ملَكٌ فيكتبها، ولا شيطان فيُفسدها، ولكنّ الله العليم مطلعٌ علىٰ قلب عبده الخائف منه فيُثيبه عليها.

والخوفُ من الله ليس للهروب منه، بل إنّه يحمل صاحبه للقرب من ربه، وزيادة الإنابة إليه، ومضاعفة التعظيم له، ويجعل العبد يبذل أسباب

النجاة لينجو من سخطه وعذابه، قال الله تعالىٰ عن الصادقين في خوفهم: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ٩-١٠].

والخائف من ربه يفوز بظل عرش الرحمن يوم القيامة، يقول ﷺ: «**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم -: ورجلٌ دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال إنّي أخاف الله**» متفق عليه.

والخوف من الله يهب صاحبه الأمان يوم القيامة، قال النبي ﷺ: «**يقول الله ﷻ: وعزَّتي وجلالي لا أجمع علىٰ عبدي خوفينِ ولا أجمع له أمنينِ؛ إذا أمِنَني في الدنيا أخفتُه يوم القيامة، وإذا خافني في الدنيا أمَّنتُه يوم القيامة**» حسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة.

ومن ثمرات الخوف من الله: أنّه يأخذ بصاحبه إلىٰ جنّة عرضها السموات والأرض، قال ﷺ: «**مَن خاف أدلج، ومَن أدلج بلغ المنزل، ألا إنّ سلعة الله غالية، ألا إنّ سلعة الله الجنة**» رواه الترمذي.

وفي الجملة فإنّ الخوف من الله سائق لكل خير، وموصل لكل فضيلة، وهو السبب الأعظم إلىٰ رضا الله وجنته.

ومن أعظم الأسباب الجالبة للخوف من الله:

تذكّر عظمته وقوته وشدة بطشه بمن عصاه.

ومنها: تذكّر عذابه وناره، فعذابه شديد وخزيه كبير لمن عصاه.

اللهم املأ قلوبنا من خشيتك واجعلنا ممّن خشيك في الغيب والشهادة.

الشُّعبةُ الثامنة عشرة

عبادة الرجاء

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالرجاء عبادةٌ جليلة اتصف بها سادة الخلق من الرسل والأنبياء والصالحين من بعدهم.

ومعنىٰ الرجاء: تعلّق القلب بالله لحصول المأمول من رضاه وجنّته.

ولا يكون الرجاء صحيحًا إلا بعد عمل وعبادة وطاعة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٨].

فجعل رجاءهم في رحمته بعد أشرف الأعمال من الإيمان والهجرة والجهاد.

أمّا الرجاء بدون عمل فهو رجاء البطّالين الكُسالىٰ كمن يرجو ثمرة بدون بذر وزرع وسقي، وهٰذا هو الفرق بين الرجاء النافع بعد العمل، وتمنّي الكُسالىٰ الذي هو كما قيل: رأس أموال المفاليس، وتأمّل هذه الآية، قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف: الآية ١١٠].

لترىٰ أنّه لا رجاء بلا عمل، ولا نيل للخيرات بدون اجتهاد.

والرجاءُ والخوفُ عليهما مدارُ السَّير إلىٰ الله، قال الله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: الآية ٥٧].

فالمؤمن في سيره إلىٰ ربه يعمل ويجدّ ويجتهد ويرجو بعد ذلك رحمة الله وفضله وكرامته، ويخاف سخط الله عليه إذا أذنب أو قصّر، ويخشىٰ أنّه لم يؤدِّ العبادة كما أرادها الله.

وفي الجملة ينبغي أن يكون العبدُ بين الخوف والرجاء، فقد أخرج مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من جنته أحد**» رواه مسلم.

وأعظم ما ينبغي أن يكون العبدُ عليه من الرجاء ساعة الاحتضار وخروج الروح، وذلك بحسن الظنّ بالله، يقول ﷺ: «**لا يموتنّ أحدُكم إلا وهو يحسن الظنّ بالله** عَزَّ وَجَلَّ» رواه مسلم.

والرجاء عبادة تأتي من ورائها عبادات أخرىٰ عظيمة كالرغبة في العفو والمغفرة، وقبول العمل والإحسان من الله.

والرجاء فيه انتظار فرج الله لأنّ العبدَ إذا وقع في مكروب تجده يرجو من ربه كشفه، فهو عبادة جليلة يُحبها الله من عباده.

وقد تعلّمت الأمّةُ الرجاءَ من نبيها ﷺ، فقد رجا أن تكون أمّته نصف أهل الجنّة فتفضّل الله عليه وعلىٰ أمّته بهٰذا.

بل كانت حياته كلها مليئة بالرجاء وحسن الظنّ بالله.

فكن كثير الرجاء لرحمة الله وإحسانه، وأحسن الظنّ به مع صلاح العمل وتعلّق القلب بفضله.

اللهم يسرنا لليسرىٰ وجنبنا العسرىٰ يا أكرم الأكرمين.

الشُّعبةُ التاسعة عشرة

عبادة التوكل

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالتوكلُ عبادةٌ قلبيةٌ محضة لا يجوز صرفها لغير الله البتة، وفريضةٌ يجب إخلاصها لله تعالىٰ لقوله سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المَائدة: الآية ٢٣] وهٰذا من أقوىٰ أنواع الحصر في وجوب صرف عبادة التوكل عليه وحده فقط.

ومن صرفه لغير الله فقد كفر وأشرك.

وحقيقة التوكل: تفويض الأمر لله والاعتماد عليه مع كمال الثقة به.

وكثيرًا ما ينصرف ذهن الخلق عند ذكر التوكل: إلىٰ التوكل علىٰ الله في رزق المآكل والمشارب فقط، وهو - وإن كان نوعًا من أنواعه - إلا أنّ للتوكل أنوعًا كثيرة، من أشرفها وأرفعها مقامًا: التوكل علىٰ الله في التوفيق للهداية والاستقامة وزيادة الإيمان والثبات عليه، فيتوكل العبدُ علىٰ ربه بأن يهديه، ويُحبّب إليه الإيمان، ويُزيّنه في قلبه.

ومن الأقسام الشريفة للتوكل: التوكل عليه في شريف الأعمال كطلب العلم وتحصيله، والتوكل عليه في التوفيق للدعوة إليه وخدمة الإسلام ونشره.

ومن أنواع التوكل: الثقة بالله في تحقيق نصرة دينه وعدم الركون للكافرين

وقوتهم الظاهرة.

ومن أنواع التوكل: التوكل على الله في إصلاح أمر الدنيا من تحصيل الرزق وكفاية النفس والأهل والأولاد ونحوها.

والمتوكلون حقًّا فازوا بأعظم مطلوب للعبد، وهو: محبة الله لهم ورضاه عنهم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩].

والتوكلُ على الله لا ينفي الأخذ بالأسباب، بل الأخذ بها من جملة التوكل عليه، فسيدُ المتوكلين محمد ﷺ كان يأخذ بالأسباب، فهاجر بعدما أخذ أسباب النجاة، وكان يأخذ عدته في جهاده وقتاله الأعداء.

فمذهب أهل السنة والجماعة - وهو الحق الذي دلَّ عليه الشرع والعقل - أنّ: قيام الجوارح بالأسباب لا ينفي اعتماد القلب بالكليّة على مسبب الأسباب وهو الله ﷻ.

والمتوكل الصادق في توكله يجني ثمرات كثيرة لهذه العبادة، منها:

كفاية الله المتوكل في جميع شؤونه قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطّلَاق: الآية ٣].

أي: كافيه؛ وكفى بها ثمرة وفضلًا.

ومنها: طمأنينة النفس، وارتياح القلب وسكونه، فأعظم النّاس طمأنينة المتوكلون بصدق على ربهم.

ومن ثمرات التوكّل: أنّه يورث قوة القلب وشجاعته، وثباته وتحدِّيه للأعداء، ولنا في رسل الله - عليهم الصلاة والسلام - أسوة حسنة فقد كانوا أعظم الخلق ثباتًا مع كثرة أعدائهم، وتوفر القوة المادية لديهم، إلا أنّ الغلبة كانت للرسل وأتباعهم لعظيم توكلهم على ربهم.

ومن ثمرات التوكّل: أنّه يقي المتوكل من تسلُّط الشيطان: قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النّحل: الآية ٩٩].

فالمتوكل في حفظ وحِرز من تسلّط الشيطان عليه.

فلنجتهد في تحقيق التوكل لنفوز بأجر هذه العبادة الشريفة ولننال هذه الثمرات.

اللهم اجعلنا من عبادك المتوكلين حقًّا، المتعلِّقة قلوبهم بك صِدقًا.

الشُّعبةُ العشرون

عبادةُ الصبر، والرضا بعد القضاء

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالصبر عبادةٌ جليلة، رفيعة القدر، عظيمة الشأن جاء ذكرها في أكثر من مئة آية في كتاب الله ممّا يدلُّ علىٰ أهميته ورفعة شأنه وشدة الحاجة إليه، ويدل - أيضًا - علىٰ علو منزلة أهله، وحبِّ الله لهم، ورضاه عنهم.

والصبر كما قال علماؤنا - رحمهم الله تعالىٰ - ثلاثة أنواع:

صبر علىٰ طاعة الله.

وصبر عن معصيته.

وصبر علىٰ أقداره المؤلمة.

فمن استكمل هذه الأنواع الثلاثة فقد استكمل الصبر الممدوح.

والحياةُ كلُّها مبنيَّةٌ علىٰ ساق الصبر، فمن لم يصبر لن يطيب عيشُه، ولذا قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (وجدنا خير عيشنا في الصبر) فاصبر عند كلِّ ألم وكرب، وتجلّد لكلِّ ملمّة من ملمات الحياة.

والصبر هو الطريقُ الأعظم لجنّة الخلود، قال الله تعالىٰ - عن الجنة وأهلها -: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣- ٢٤].

ويستحضر العبدُ الصبرَ عندما يُظلم ويلحقه الأذىٰ من غيره، ويعظم أجر صاحبه مع الاحتساب، ويرتفع شأنه مع الإخلاص فيه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية ١٢٧].

وكلما كانت الطاعة شاقّة واحتاجت إلىٰ صبر أكثر كان أجرها أعظم وأجلّ، ولذا كان الجهاد وإنفاق المال والصوم وصلاة الليل ونحوها من العبادات أعظم أجرًا من غيرها لحاجة العابد للصبر خلال أدائها.

والصبرُ من العبادات التي لم يذكر الله ثوابَها تحديدًا وإنّما يوفي أجور أصحابها بلا عدّ ولا حساب، وهٰذا غاية ما يكون في كثرة الثواب، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٠].

لقد فاز الصابرون بمعية الله، وكفىٰ بها عطية وفضلًا، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٥٣].

فاحرص علىٰ امتثال الصبر، ولا تتضجّر ممّا يكدّر خاطرك فإنّك لا تدري مواطن الخيرة في حياتك، واصبر علىٰ طاعة ربك، واحبس النفس عن المعاصي لتفوز بالجنّة دار الصابرين.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في الدنيا والآخرة واجعلنا من عبادك الصابرين.

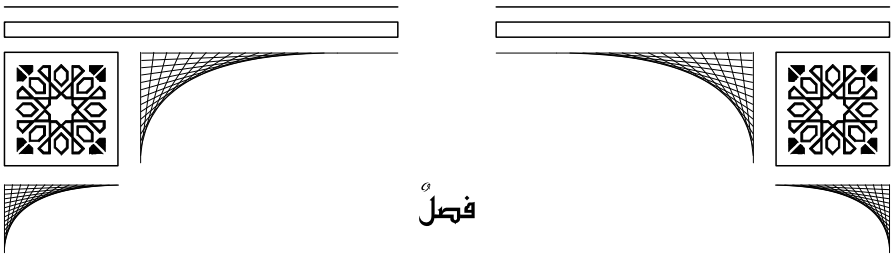

فصلٌ

عبادة الرضا بعد القضاء

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فقد كان من دعاء النبي ﷺ: «**وأسألك الرضا بعد القضاء**» رواه أحمد.

وفي رواية النسائي: «**وأسألك الرضا بالقضاء**».

فالرضا بالقضاء وبعد نزوله عبادةٌ قلبية رفيعة الشأن، ودرجة إيمانية عظيمة القدر، ومرتبة أعلىٰ من الصبر، فالصابر قد يصبر بدون رضا - وهو مأجور ولا شك - ولكنّ الرضا مرتبة عليّة لا يبلغها إلا الكُمّل من البشر، الذين أيقنوا أنّ اختيار الله لهم أفضل من اختيارهم لأنفسهم.

وفي كل صباح ومساء يُقرّ المسلم بهٰذا فيقول: «**رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا**» فينبغي له أن يُترجم هٰذا الرضا واقعًا في الرضا بقضاء الله ودينه وشرعه.

وقد اختار شيخ الإسلام أنّ: الرضا مستحبٌّ وليس بواجب، بل الواجب الصبر ولكن كلما رضي العبد عن قضاء ربه كان ذلك أكمل في حاله.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إنّ الله إذا قضىٰ قضاءً أحبّ أن يُرضىٰ به».

فإذا وصل العبد لهذه الدرجة نال أعظم الثمار وهو رضا الله عنه، **يقول ابن القيم** رحمه الله: «رضا العبد عن ربه في جميع الحالات يُثمر رضا ربه عنه».

كم من أمرٍ قضاه الله علينا ولكنّنا لم نرضه لضعف إيماننا؛ ربما نصبر ولا نتضجّر ولكن يبقىٰ في النفس ألم.

وكم من مرض ابتُلينا به أو مرض لنا عزيز من أحبتنا فتمنينا أنّه لم يمرض.

وكم من حاجة لأنفسنا أو لأولادنا وأهلينا قضاها الله علينا بما لا نُحب، فتألمنا مع صبرنا وذلك لضعفنا ولبشريتنا.

تجد الكثير غير راض عن رزقه، ولا عن شكله، ولا عن معيشته، وما ذاك إلا بسبب الجهل بالله تعالىٰ؛ فلو عرف المرءُ ربَّه ﷻ حق المعرفة لظهَر منه التَّعظيمُ والرضا لاختياره، ولَمَا كان منه إلا الأدب الجمُّ معه؛ ولو نظر بإنصاف لوجد أنّه أحسن حالًا من غيره في رزقه وشكله ومعيشته ولكنّ العبد ظلوم جهول.

وأعظم سبيل ليكون العبدُ راضيًا:

أن يُؤمن إيمانًا راسخًا لا يعتريه شك أنّ الله يعلم ما هو الأصلحُ والأنفعُ له.

وأن يُوقن يقينًا جازمًا أنّ كلَّ قضاءٍ يقضيه الله لعبده فهو خير له، وأنّ رحمة الله سبقت عقوبته؛ فلو آلمك القضاء فإنّه رحمة لك من حيث لا تشعر.

وممّا يُعين علىٰ الرضا:

تذكّر فضل أهل الرضا، وعطايا الرحمن لهم، وما يُعوّضهم به من الخيرات؛ فكم فات أحدُنا ممّا يُحبُّ وإذا به بعد فترة - ربما تطول - حمِد الله علىٰ قضائه الأوّل، وعرف أنّه خير له، فارض بما قضاه الله عليك تجد عوضًا وراحة وسعادة وطمأنينة.

اللهم اجعلنا من أهل الرضا يا رحيم.

الشعبة الحادية والعشرون

التوبة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالتوبة عبادة جليلة، وشعبة من شعب الإيمان شريفة، أمر اللهُ بها، ورتّب عليها فضائل لا حصر لها، وجعل من لا يتوب ظالمًا لنفسه، قال الله سبحانه: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحُجرات: الآية ١١].

(فلا يكون المرء إلا تائبًا أو ظالمًا) ذكره ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ

والتوبة كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ **هي**: أوّل منازل السائرين لربهم وأوسطها وآخرها.

فلا ينفك العبدُ طيلة سيره إلىٰ ربه من الحاجة إليها، فهو في أوّل الطريق تائب، وفي وسطه منيب، وفي آخره مستغفر.

ومهما عَبَدَ العبدُ ربَّه يبقىٰ مقصِّرًا فيها ولا سبيل لتكميل هٰذا التقصير إلا بالتوبة النصوح، وهي من صفات الأنبياء والمرسلين، فقد تاب اللهُ علىٰ آدم، قال الله تعالىٰ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٣٧].

وسألها إبراهيمُ وإسماعيلُ -عليهما الصلاة والسلام- ربَّهما، قال الله تعالىٰ عنهما: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٢٨].

وهٰذا نبينا ﷺ مع جلالة قدره، ورفعة منزلته، وإخلاصه في مقامات

العبودية لربه، وتوفيته مراتب العابدين إلا أنّه كان أكثر النّاس توبة، وأصدقهم إنابة، وما ذاك إلا لمعرفته بحق ربِّه ﷻ، بل كان آخر ما نزل عليه قول الله تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ [النّصر: الآية ٣].

والله أمر بالتوبة، والأمر للوجوب والمسارعة، قال سبحانه: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النُّور: الآية ٣١].

فتأمل كيف دعا اللهُ عبادَه المؤمنين الصادقين للتوبة، فماذا عسىٰ أن يكون حال المذنبين معها؟!

وينبغي للعبد المسارعة للتوبة؛ فإنّ تأخير التوبة ذنبٌ يحتاج لتوبة.

وأنفع التوبة ما كانت مع الإقبال علىٰ الله بصدق، مصحوبةً بالندامة علىٰ التفريط والتقصير، وكمال الإخلاص فيها، وإظهار الفقر والفاقة لله.

والتوبة الواجبة تكون من جميع الذنوب، ولكن ربما لا يستطيع البعض إلا التوبة من بعض الذنوب وهي توبة جائزة علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم، بل لعلها سبيل للتوبة من جميع الذنوب، فلا تتأخر عنها حتىٰ لا تتراكم عليك الذنوب فتعجز عنها.

ولقد بشّر الله بقبول توبة الصادقين، وتبديل سيئات التائبين المنيبين، وهٰذا فضل كبير لا يفرّط فيه إلا ظالم لنفسه.

والتائبون كتب اللهُ لهم محبته، وهذه لعمر الله خير العطايا، وأكمل الهبات، فإنّ الله لا يُعذب من أحبّ.

وليحرص العبد علىٰ تجديد التوبة علىٰ الدوام فقد كان هدي النبي ﷺ في حياته كذلك.

اللهم ارزقنا التوبة النصوح ياغفور يا توّاب، اللهم اجعلنا من عبادك الصالحين المنيبين التائبين.

الشعبة الثانية والعشرون

محبة الله تعالىٰ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمحبة الله تعالىٰ هي الشعبةُ الشريفة، والصلةُ الوثيقة بين العبد وبين ربه، والمنقبةُ العظمىٰ لأهل الإيمان، والمرتبة العليا التي لأجلها تنافس المتنافسون، وتسابق إليها المتسابقون، وبُذلت لأجلها مُهج، وأنفقت من ورائها أموال، وهُجرت فيها أوطان.

وهي أرفعُ منزلة يصل إليها العبدُ في الدنيا، وأعظم رزق يناله فيها.

ولذا كان نبينا محمد ﷺ يسألها ربه، ويلظ بها بالدعاء، لعلمه أنّها أرفع المنازل، وأعلىٰ الرتب، فهي خير لذائذ الدنيا، وهي منشور الولاية، وطريق رضا الرحمن.

جاء في سنن الترمذي من حديث أَبي الدرداءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**كَانَ مِنْ دُعاءِ دَاوُدَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وَأَهْلِي، وَمِنَ المَاءِ البَارِدِ**».

ومحبةُ الله منزلة لا يصل إليها العبد إلا بعد بذل المجهود في المعرفة، وإفناء العمر في سبيلها، وهجر اللذائذ للوصول لها، وصدق العبادة والإخلاص

فيها، وتنقية القلب من الشهوات المُضلة، فلا يمكن لقلب أن يجتمع فيه محبة الله ومحبة الشهوات.

والله - سبحانه - أحق من يُحبّ (فالمحبوب إنما يُحب لكمال صفاته، وجميل فِعاله) وكل صفة من صفاته - سبحانه - يستحق معها الحب، فهو كامل في أفعاله وصفاته، جميل في ذاته، ولذا ينسىٰ أهلُ الجنّة كل نعيم هم فيه - مع عظمته - إذا رأوا ربَّهم سبحانه لعظيم جماله، وجلالة أوصافه.

وهو - سبحانه - أعظم مَنْ أنعم، وأكرم من تفضّل، فكلُّ نعمة علىٰ العبد في نفسه وولده وماله فهي من الله. قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ...﴾ [النحل: ٥٣].

وأعظم النعم التي يُحَبُّ لأجلها - وكل نعمة منه تستحق حبه -: نعمة الدين؛ فنعمة الإسلام والتوحيد تُنقذ العبد من النّار، وتجعله يفوز بدار كرامته ومستقر رحمته.

ومحبةُ الله ليست ادّعاء بالأقوال، بل لا بد لها من براهين، من أعظمها: طاعته سبحانه، وتعظيم شرعه، والقيام بدينه والاعتزاز به ونشره، وحُبّ من يُحبُّ، وبُغض من يبغض... وغيرها من دلائل المحبة وبراهينها.

فزد معرفة بربك لتُحبه أعظم الحب، وتعرّف علىٰ الأسباب الجالبة لحبه وابذل جهدك لفعله، وأكثر من الدعاء بطلب حبه واصدق في الطلب وكرره دومًا تَنَلْهُ كأوفر ما يكون.

اللهم ارزقنا حبك وحب كل من يحبك واجعل حبك أحَبَّ إلينا من أهلينا وأنفسنا.

الشعبة الثالثة والعشرون

محبة النبي ﷺ، وتعظيم قدره وإجلاله

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمحبة النبي ﷺ من خصال أهل التقوىٰ؛ امتلأتْ بها قلوبُ الصادقين، وذاقوا لذتها في حياتهم، ومعها وجدوا طعم الإيمان وحلاوته.

وهي عبادة عظيمة، وقربة جليلة تفوق كثيرًا من العبادات، وتحمل صاحبها علىٰ ارتكاب الصعاب، ولا يكتمل إيمان العبد إلا بهذه العبادة العظيمة، يقول النبي ﷺ: «**لا يُؤْمِنُ أحدُكم حتىٰ أكونَ أحبَّ إليه من ولدِهِ، ووالدِهِ، والناسِ أجمعينَ**» رواه البخاري.

ومحبته ﷺ ليست ادّعاءً يدّعيه المدّعي؛ بل تحتاج إلىٰ برهان صدق، ودليل ساطع علىٰ هذه المحبة، فقد ادّعىٰ أقوامٌ محبة النبي ﷺ فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾**﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣١].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ **في تفسيره**: (هذه الآية الكريمة حاكمة علىٰ كل من ادّعىٰ محبة الله، وليس هو علىٰ الطريقة المحمدية فإنه كاذب في دعواه في نفس الأمر حتىٰ يتّبع الشرع المحمدي والدين النّبوي في جميع أقواله وأحواله) انتهىٰ كلامه.

ومن أعظم براهين محبته ﷺ: تقديم حبه ﷺ علىٰ حبِّ كل أحد، وتقديم محابّه علىٰ كلِّ محبة فلا يُؤمن العبد حتىٰ يكون هواه تبعًا لِما جاء به النبي ﷺ.

ومن براهينها: طاعته الطاعة المطلقة؛ فلا أحد من المخلوقين يُطاع طاعة مطلقة إلا النبي محمدًا ﷺ.

ومن براهينها: كثرة الصلاة والسلام عليه؛ فمن أحبَّ أحدًا أكثر من ذكره.

وإذا أردت معرفة مكانة نبيك محمد ﷺ لتُحبه الحبّ العظيم، فانظر لمنزلته عند الله وثناء الله عليه في كتابه، فمن تدبّر في هٰذا الشأن عرف مكانته ﷺ فأحبه لا محالة.

وانظر كذلك إلىٰ الخير الذي وصل إلينا بسببه؛ فالأمّة لم تعرف ربَّها إلا عن طريقه، وهو الذي علّمنا كيف نصلي وكيف نصوم ونعبد ربَّنا، بل علّمنا كل خير، وأرشدنا إلىٰ كلِّ برّ، وعلّمنا ما هو أقلّ من ذلك من آداب الخلاء ونحوها بأبي هو وأمي ﷺ.

ولمحبته فضائل عِدّة لا يجمعها موطن واحد، ولعل من أجلها وأرفعها رفعة العبد في الدارين؛ ففي الدنيا يزيد اتِّباعه لسنته وتمسكه بها، فكلما زاد حبُّ العبد لنبيه ﷺ ازداد طاعة له.

وأمّا في الآخرة فينال الرفعة في الجنّة، فبقدر حبِّ النبي ﷺ تكون رفعة المؤمن فيها، ففي الحديث: «**المرء مع من أحبّ**» رواه البخاري.

فلو لم يكن في محبته إلا هٰذا الفضل وأن تكون بقربه لكفىٰ.

فاسع للوصول إليها وابذل عمرك في سبيل بلوغها.

فصلٌ

- في تعظيم قدر النبي ﷺ وإجلاله -

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد:**

فمن شُعب الإيمان العظيمة: تعظيم قدر النبي ﷺ وإجلاله، وهي من أعظم الدلائل الإيمانية به، وأظهر براهين اتِّباعه.

وتعظيمه ﷺ من حقوقه التي أوجَبها اللهُ علىٰ أمته، قال الله تعالىٰ: ﴿لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفَتْح: الآية ٩].

فالتعزير والتوقير هنا في هذه الآية هو للنبي ﷺ.

وبشّر اللهُ من عظّمه وعزّره ونصره بالفلاح التام، وهي غاية نفيسة تفنىٰ لأجلها الأعمار، قال الله سبحانه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ١٥٧].

وتعظيمه ﷺ له صور متعددة، منها:

تعظيم أقواله؛ فلا يُقدّم علىٰ قوله قول أحد كائنًا من كان، فأقواله - عليه الصلاة والسلام - ليست كقول بقية البشر فهو رسول أمين، ونبي كريم يُوحىٰ إليه، مؤيد من ربِّ العالمين، فما ثبت نسبته إليه يجب قبوله والعمل به.

ومن صور تعظيمه:

تصديقه في كل ما أخبر به ممّا صحّ عنه، وإن لم تُدركه عقولنا من الغيبيات

ونحوها، فقوله كله في الذروة من الحق فهو الصادق المصدوق.

ومن صور تعظيمه:

تقديم محبته علىٰ محبة سائر الخلق؛ فما وصلنا من الخير الذي عن طريقه لن يستطيع بشرٌ أن يُقدّم عُشر معشاره، فبه أنقذنا الله من الشرك والضلالة، وبسببه تعلّم النّاس العبادات التي يتقربون بها لربهم، فما نسبة أي إحسان من البشر بجوار هٰذا الإحسان؟!

ومن صور تعظيمه:

اعتقاد أنّه خير الرسل وأفضلهم، وأنّه خاتمهم فلا نبي بعده.

ومن صور تعظيمه:

اعتقاد صلاح شريعته لكل زمان ومكان، فمهما جهل جاهل بهٰذا، أو اعتقد بعقله البليد أنّ سُنّته لا تصلح لهٰذا الزمان فقوله وجراؤته فاسده، ويلحق بهٰذا:

اعتقاد ديمومة هذه الشريعة حتىٰ قيام الساعة، فلا دين بعد هٰذا الدين ولا شريعة بعدها.

ومن صور تعظيمه:

اعتقاد حفظ الله لسنّته بما قيّض لها من علماء أجلاء صانوها عن الخطأ، وبلغوها للأمّة كاملة موفورة.

ومن صور تعظيمه:

عدم الغلو فيه؛ بل إنزاله المنزلة التي أنزله الله إيّاها، وهو الذي أمرنا بهٰذا، ونهىٰ عن الغلو فيه، فمن أراد إجلاله وتعظيمه صِدقًا فعليه اتباع هٰذا التوجيه الوارد عنه.

ومن صور تعظيمه:

التأدّب عند ذكره ﷺ؛ فيتأدّب المؤمن عند ذكره أو سماع حديثه، فنبينا ﷺ خيرة الخلق وأعظمهم مكانة عند ربِّ العالمين، وللسلف الصالح صور عجيبة في هٰذا التعظيم.

ومن صور تعظيمه:

نشر سنته بين الخلق؛ ففي نشرها خير وصلاح للعباد في الدارين.

اللهم اجعلنا من أتباع نبيك ﷺ حقًّا ومن المعظِّمين لسنته صدقًا.

الشعبة الرابعة والعشرون

الحبُّ في الله والبغض في الله

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالحبُّ في الله والبغض في الله من صفات أهل الإيمان، وبراهين خِصال أهل التقوىٰ والإحسان، يقول ﷺ: «**إِنَّ أَوْثَقَ عُرَىٰ الْإِيمَانِ: أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ، وَتُبْغِضَ فِي اللهِ**» رواه أحمد.

بل جعله النبي ﷺ من علامات كمال الإيمان التي يرجوها كلُّ مؤمن ومؤمنة، يقول ﷺ: «**من أحبَّ للهِ وأبغض للهِ وأعطَىٰ للهِ ومنع للهِ فقد استكمل الإيمان**» رواه أبو دواد.

وهي مرتبة عالية فات إدراكها كثير من الصالحين - فضلًا عن غيرهم- وقضوا نحبهم ولم يبلغوها بعدُ.

والحبُّ في الله والبُغض فيه من أسباب وجدان حلاوة الإيمان، ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبدًا لا يحبه إلا لله...**» الحديث.

فمحبةُ المرء في الله لكونه مطيعًا لربه من أعظم أسباب طيب الحياة، وسعادة الروح، وإدراكها ليس بالأمر الهيّن.

وأهلها هم الصادقون حقًّا في إيمانهم الذين يُحبون لله، ويُبغضون لله، ويُوالون فيه، ويُعادون فيه، أسوتهم في ذلك أنبياء الله ورسله - عليهم الصلاة والسلام -، فقد عادىٰ إبراهيمُ عليه السلام والمؤمنون معه أهلَ الشرك والنفاق وتبرءوا منهم لعداوتهم لربهم، وأمرنا اللهُ أن نقتدي بهم، فقال سبحانه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ...﴾ [المُمتَحنَة: ٤].

ومعاداة الكافرين لا تعني ظلمهم، أو التعدِّي علىٰ حقوقهم، بل قد جعلت لهم هذه الشريعة لكمالها حقوقًا تؤدّىٰ إليهم، وحرمت الاعتداء عليهم وعلىٰ حقوقهم.

والحبُّ في الله معناه: محبة المرء لطاعته لربه، وقيامه بأمره، فكلما كان المرء مؤديًا حق الله وله أطوع كانت المحبة له أعظم، ولذا كان أحق الخلق بهذه المحبة هو: رسول الله ﷺ ثمّ صحابته الكرام رضي الله عنهم، فهم أعظم النّاس إيمانًا وتضحية لهٰذا الدين وفضلهم علىٰ الأمّة لا يدانيه فضل، فلذا وجبت محبتهم وإجلالهم، ثم أهل الفضل في كلِّ زمان لهم محبة شرعية -خصوصًا أهل العلم منهم - الذين نفعوا الأمّة وعرّفوهم طرق التقرّب لله بالعقيدة الصافية والعمل الصالح، فلهم في قلوب المؤمنين المحبة التي يستحقون، ثمّ محبة عامّة المسلمون وهؤلاء يجتمع فيهم الحب والبغض، فيُحَبون لإسلامهم وطاعتهم، وتُبغض جوانب التقصير فيهم، فيجتمع فيهم الحب والبغض، فاجتهد في تحصيل هذه الخصلة العظيمة لتنال رضا ربك الرحمن.

الشعبة الخامسة والعشرون

تعظيم الله وتعظيم أوامره ونواهيه

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن شُعب الإيمان العظيمة التي تنفع صاحبها، وتُعلي قدره عند ربه: تعظيم الله وما يتبعها من تعظيم أمره والانتهاء عن نهيه، ومحبته والإقبال عليه بالكليّة، فروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلىٰ أحدهما عن الآخر فسدت.

وهذه الصفة قد تحلىٰ بها صفوة الخلق من الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام -، فقد كانت قلوبهم ممتلئة تعظيمًا لربهم ممّا أثمر لهم عبوديات متنوّعة، فقاموا بما أمرهم الله به في حياتهم كلها، وكانوا أعبد الخلق لربهم، وأصدق الناس في دعوتهم، وأكثرهم حرصًا علىٰ هداية الخلق، وسيرتهم ظاهرة في ذلك، ولعل أعظمهم تعظيمًا لله هو نبينا محمد ﷺ الذي كان إذا صلىٰ سُمع لصدره أزيزٌ كأزيز المِرجل من البكاء تعظيمًا وإجلالًا لربه.

وكذلك الملائكةُ الكرامُ فمن قرأ في أحوالهم وعباداتهم يرىٰ شدة تعظيمهم لربهم؛ فقد وصفهم الله بأنهم: ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وأنهم: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٥٠﴾ [النّحل: الآية ٥٠].

وقال رسولُ الله ﷺ: «**مررتُ ليلةَ أسريَ بي علىٰ الملأِ الأعلىٰ فإذا جبريلُ كالحلسِ البالي من خشيةِ اللهِ**» وهو في صحيح الجامع.

إنّ تعظيم الله من أظهر صفات المؤمنين، فلقد نعىٰ الله علىٰ الكفار عدم تعظيمه وإجلاله، فقال الله ﷻ: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٧].

وقال الله تعالىٰ - حاكيًا مقالة نوح لقومه -: ﴿مَّا لَكُمۡ لَا تَرۡجُونَ لِلَّهِ وَقَارٗا﴾ [نُوح: الآية ١٣].

قال سعيد بن جبير رَحِمَهُ اللَّهُ: ما لكم لا تُعظّمون الله حقَّ عظمته.

ولا يجوز لأحد أن يجعل العظمة الكاملة إلا لله، فهي حق خالص لله وحده فمن نازعه فيها قذفه في النار وبئس القرار، يقول الله تعالىٰ في الحديث القدسي: «**الكبرياءُ رِدائِي، والعَظمةُ إزارِي، فمَنْ نازعَنِي واحِدًا مِنهُما قذَفْتُهُ في النارِ**» وهو في صحيح الجامع.

فتقوية هذه الأمر في النفوس من أعظم ما نحتاجه - خصوصًا هذه الأزمنة - التي قد ضعف فيها، ولذا كَثُرت الجراءة علىٰ المحرمات.

اللهم ارزقنا معرفتك حق المعرفة وتعظيمك حق التعظيم.

فصلٌ

في أسباب تعظيم الله وأمره وأثر ذلك

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فلقد جعل الله لبلوغ هذه منزلة تعظيمه أسبابًا، منها:

التفكر في عظمة خلق الله للكون وما فيه من مخلوقات، فالمخلوق العظيم دالٌّ علىٰ خالقٍ أعظم، ومن أعظم مخلوقاته - سبحانه - السموات والأرض، قال الله تعالىٰ: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غَافر: الآية ٥٧].

وليتأمّل العبدُ في صفة خلق الملائكة - وهم من جملة من خلْق الله - يقول النبي ﷺ واصفًا جبريل إمام الملائكة وأفضلهم -: «**رأيته منهبطًا من السماء، سادًّا عِظم خَلْقه ما بين السماء إلىٰ الأرض**» وهو في صحيح مسلم.

فهٰذا ملكٌ واحدٌ فقط، فكيف ببقية الملائكة الذين ملئوا السموات والأرض.

ومن أسباب تعظيم الله: زيادة العلم به وذلك بمعرفة أسمائه وصفاته.

تأمل هذه الآيات والتي فيها التعريف بالله سبحانه لترىٰ ربًّا عظيمًا جليلًا، يقول الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ

ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

من أسباب تعظيم الله تعالىٰ: كثرة ذكره جل جلاله مع حضور القلب؛ وحضور القلب هنا شرطهم مهمًا لإحياء هٰذا التعظيم، فكثيرٌ من المسلمين غافلون عن ذكر الله أصلًا أو أنهم يذكرونه تعالىٰ ولكن مع الغفلة، فأثر الذكر بهذه الطريقة قليل علىٰ القلب، فلذا ينبغي ذكره مع حضور قلب وإجلال واستحضار لعظمته.

ولتعظيم الله آثار كثيرة علىٰ صاحبها، ولعلّ من أجلها:

القيام بما أمر - سبحانه -: فمن عظّم الله حق تعظيمه لن تجده مقصّرًا في أوامره أو متكاسلًا عنها لأنّه آمن أنّ هٰذا الأمر من الله تعالىٰ وأنّه واجب التنفيذ علىٰ الفور.

ومن آثار تعظيم الله تعالىٰ: الخوف منه ومن تعدي حدوده، أوالجراءة علىٰ حرماته، فمن عرف الله حق المعرفة لم يجرؤ علىٰ معصيته، وخاف عذابه وعقابه لعلمه أنّ عذاب الله أليم، وأخذه شديد.

ومن آثار تعظيم الله تعالىٰ: ما يقوم في القلب من محبته، فمن عرف الله حق المعرفة أحبه لا محالة، فهو قد عرف صفاته العظيمة وهذه المعرفة تُوجب محبته لاستحقاقه - سبحانه - لذلك، ويرىٰ -أيضًا- نعمه المتوالية عليه، وأعظمها نِعمَة الإسلام، فيُحبه لأنّه خصّه بهذه النعمة من بين سائر الخلق، فإذا استقام العبد وزاد طاعة لربه أحبه علىٰ نعمة التوفيق والهداية.

اللهم ارزقنا تعظيمك ومحبتك.

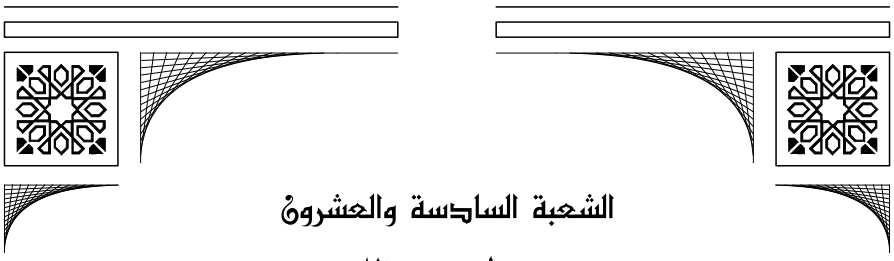

الشعبة السادسة والعشرون

حفظ حدود الله

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن شعب الإيمان: حفظ حدود الله.

فاللهُ مالكٌ لكونه ومن مقتضىٰ ملكه: الأمر والنهي؛ ولذا حدّ حدودًا للعباد لا يجوز لهم أن يتجاوزوها أو يتعدوها.

وحدود الله يُراد بها أمورٌ:

فأحيانًا يُراد بها: ما شرعه الله من أوامره التي جعل منها ما هو واجب، ومنها ما هو مستحب، ومنها ما هو مباح، فعلىٰ العبد أن يتقيّد بها، وأن يكون عمله مبنيًّا علىٰ ما شرعه الله ﷻ لا بالهوىٰ أو التشهي، ويدخل في هٰذا الابتعاد عن البدع المحدثة.

وأحيانًا يُراد بالحدود: المحرمات التي نهىٰ اللهُ عن فعلها وقربانها كما قال تعالىٰ: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٧].

وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء: ١٤].

فالحدود هنا المقصود بها المحرمات.

فيحرم فعلها أو الاقتراب منها لأنّ الله تعالىٰ إذا حرّم شيئًا حرّم كل ما

يؤدي إليه، وتلك هي خطوات الشيطان التي جاء التحذير منها كما في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ وَمَن يَتَّبِعۡ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۚ﴾ [النُّور: الآية ٢١].

فقد حرّم الله الزنىٰ، ونهىٰ عن قربانه وحرّم وسائله كالنظر الحرام والخلوة، فالمؤمن يحفظ حدود الله ويبتعد عن هذه الوسائل أشدّ البعد.

وأحيانًا يُراد بالحدود: العقوبات المقدّرة التي قدّرها علىٰ بعض الحدود كحد الزنىٰ، وحد السرقة، وحد قطع الطريق.. ونحوها فهذه يجب تطبيقها ونفاذها، ويجب العمل بها من الحاكم والمحكوم.

ومن الأحاديث الجامعة في هٰذا الباب ما جاء عن أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ الله تعالىٰ فرض فرائض فلا تضيّعوها، وحدّ حدودًا فلا تعتدوها، وحرّم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء - رحمة لكم غير نسيان - فلا تبحثوا عنها**» وهو حديث حسن، رواه الدارقطني وغيره.

فهٰذا حديث عظيم، رفيع القدر، عليّ المنزلة حتىٰ قال بعض أهل العلم: ليس في الأحاديث حديث واحد أجمع بانفراده لأصول الدين وفروعه من هٰذا الحديث، ومن تأمّل فيه وجد أنّه جامعٌ لأحكام الدين كلها فقد ذكر هنا معالمه بألفاظ أربعة: (الفرائض، والمحارم، والحدود، والمسكوت عنه).

فواجب المؤمن عند الفرائض تأديتها كاملة كما أمره الله تعالىٰ، وعند المحارم اجتنابها وعدم قربانها، وعند الحدود اتباع أحكامها، والمسكوت عنها عفو من الله يُحمد عليه.

واتّباع حدود الله وحفظها فيها الخير للعباد في الدنيا والآخرة، بل وللمجتمعات بأسرها، فإنّ حفظ الحرمات وإقامة الحدود فيه حفظ الحقوق

وصلاح المجتمع ولذا تجد أكثر المجتمعات استقرارًا وطمأنينة وأمانًا هي المجتمعات المسلمة.

وحفظ الحدود من صفات المؤمنين الذين بشّرهم الله بدخول الجنّة وجعل لهم صفات يتصفون بها - ومنها: حفظ حدوده - فقال سبحانه: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلْعَـٰبِدُونَ ٱلْحَـٰمِدُونَ ٱلسَّـٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّـٰجِدُونَ ٱلْـَٔامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَـٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: الآية ١١٢].

وقال سبحانه: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء: ١٣].

ومدح سبحانه الحافظين لحدوده، وذم من لا يعرف حد الحلال من الحرام، فقال تعالىٰ: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: الآية ٩٧].

فينبغي للمؤمن أن يتعرّف علىٰ هذه الحدود حتىٰ يعبد الله علىٰ بصيرة وعلم ويأتي ما أمره به، وينتهي عمّا نهىٰ عنه ليفوز فوزًا عظيمًا.

اللهم علّمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علّمتنا وزدنا علمًا يا عليم يا كريم.

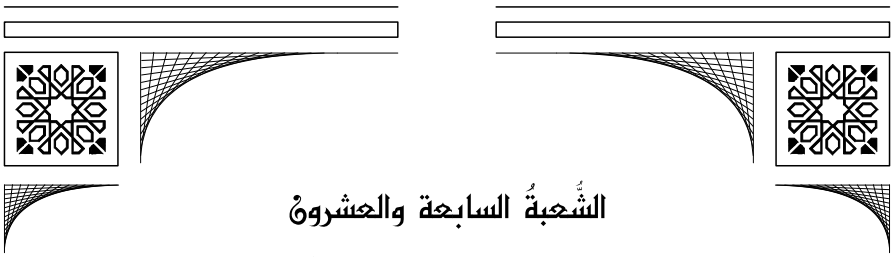

الشُّعبةُ السابعة والعشرون

سلامة الصدر للمسلمين وترك الحسد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فسلامةُ الصدر للمسلمين من شُعب الإيمان القلبية التي يتحلىٰ بها من يراقبون ربهم في ظواهرهم وبواطنهم، فلا تحمل قلوبهم إلا المحبة للمسلمين وتمنّي الخير لهم، وهذه صفة مخموم القلب الذي زكّاه النبي ﷺ وجعله أفضل النّاس، فقد روىٰ ابن ماجه رَحِمَهُ اللَّهُ من حديث عبدالله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قيل لرسولِ اللهِ ﷺ: أيُّ الناسِ أفضلُ؟ قال: «**كلُّ مخمومِ القلبِ صدوقِ اللسانِ**» قالوا: صدوقُ اللسانِ نعرفُه فما مخمومُ القلبِ؟ قال: «**هو التقيُّ النقيُّ لا إثمَ فيه ولا بغيَ ولا غِلَّ ولا حسدَ**».

والصدر إن لم يكن سليمًا امتلأ بالأمراض المُهلكة لصاحبها ولعل من أضرها: الحسد.

والحسدُ: خُلقٌ مذموم جاء التحذير منه في كتاب الله وسنّة النبي ﷺ، ووصف الله به أسوأ الخلق، فقد وصف اللهُ به إبليس، ووصف به أوّلَ قاتل من أهل الأرض، ووصف به اليهود.

فإبليسُ حسد أبانا آدم فأخرجه من الجنّة، وابنُ آدم حسد أخاه فقتله، فهو أوّل ذنب في الأرض وأوّل ذنب في السماء، واليهودُ حسدوا نبينا ﷺ علىٰ النبوة فعادوه.

فإذا عرف المرء خطورة هٰذا الذنب وأنّه من صفات هؤلاء حرص علىٰ السلامة منه.

وحقيقة الحسد: تمنّي زوال النعمة عن الغير.

ومع أنّ الحسد داءٌ مركوز في النفوس إلا أنّه ينبغي التحرز منه والابتعاد عنه، ويجاهد الإنسانُ نفسه بألَّا يكون من طبعه وخُلُقِه، فسلامة الصدر من أظهر صفات المؤمنين، وحبّ الخير للغير من سمات المتقين.

لقد ميّز اللهُ المهاجرين وفضلهم علىٰ الأنصار في الجملة، ومع ذلك لم يجد الأنصارُ علىٰ المهاجرين في أنفسهم حسدًا بسبب هٰذا الخير الذي فازوا به، فقال تعالىٰ - مزكيًا نفوسهم ومبيّنًا سلامة صدورهم -: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

والبعد عن الحسد فيه سلامة من الشح، ومن يوق شح نفسه فاز وأفلح.

ونهانا نبينا ﷺ عن الحسد بقوله: «**لا تحاسدوا..**» رواه مسلم.

وذكر ﷺ حال الرجل السليم الصدر لإخوانه وكيف فاز بالجنّة بسبب هذه الخصلة، وببعده عن الحسد.

والمرء يسلم من الحسد بأمور، منها:

- تذكّر أنّ النعم كلها من عند الله، فلا يحسد أحدًا لأنّه إذا حسده صار في حقيقة الأمر معترضًا علىٰ فضل الله وهٰذا مسلك خطير.

- أنّ الحسد من صفات إبليس واليهود والأشرار من الخلق، فتجنُّبه من أوجب الواجبات.

- تذكّر أنّ الحسد لا يزيل النعمة عن المحسود، وإنّما يُصيب الحاسد بالغمّ والهمّ.

- تكون السلامة منه بمجاهدة النفس متذكرًا شؤمه وخطورته.

- يسلم العبد منه بالإكثار من الدعاء بأن يُذهبه الله عنه وكلما صدق العبد في ذلك نال مطلوبه.

اللهم طهّر قلوبنا من كل خلق مذموم، وارزقنا قلوبًا طاهرة سليمة لإخواننا.

الشعبة الثامنة والعشرون

الطهارة والتطهّر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالطهارة والتطهّر من شعب الإيمان التي مدح اللهُ بها أهلَها، فقال سبحانه عنهم: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

ولعظيم شأن الطهارة جعلها الله نصف الإيمان، فقال ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**» رواه مسلم.

والطهارة نوعان:

طهارة حسية شرعية بتطهير ظاهر البدن.

وطهارة معنوية بتطهير الباطن من الأخلاق الرذيلة.

والطهارة الحسية الشرعية جعلها الله شرطًا لأعظم عبادة وهي: (الصلاة) ففي الحديث يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**لا يقبل الله صلاة بغير طهور**» رواه مسلم.

وتكون من الحدث الأكبر (وهو: الجنابة) بالغسل الكامل لسائر الجسد.

ومن الحدث الأصغر بالوضوء.

وأسبابُ الجنابة الموجبة للغسل هي:

الجماع سواءً أنزل أو لم يُنزل.

وإنزال المني متعمّدًا دفقًا بلذة.

والاحتلام وهو: أن يرىٰ في المنام ما يجعله يُنزل.

وأما الوضوء فيجب من البول والغائط والريح والنوم العميق ومن أكل لحم الجزور وأحكامها مفصّلة في كتب الفقه.

والطهارة من محاسن هٰذا الدين العظيم، فهي تطهّر الجسد وتحميه من الأمراض، وتطيب معها المجالسة والمعاشرة.

وفي الطهارة الثواب الكبير والأجر الجزيل، روىٰ مسلم عن أبي هريرة: أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ألا أدلُّكم علىٰ ما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟**» قالوا: بلىٰ يا رسول الله، قال: «**إسباغ الوضوء علىٰ المكاره، وكثرةُ الخُطا إلىٰ المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرِّباط، فذلكم الرِّباط**».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء حتىٰ يخرج نقيًّا من الذنوب**» رواه مسلم.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قال: «**إنّ أمتي يأتون يومَ القيامةِ غرًّا محجّلين من أثرِ الوضوءِ**» رواه مسلم.

فليحرص المسلم علىٰ تعلّم أحكامها ويعرف فضلها ليعتزّ بشرائع دينه العظيم.

الشعبة التاسعة والعشرون

الصلاة المفروضة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالصلاةُ هي أعلىٰ وأشرف شعب الإيمان بعد الشهادتين، وهي أكثر العبادات فضلًا، وأعظمها أجرًا، وأرجاها ذُخرًا، جاءت بفضلها الآثار، وبيّنت منزلتها النصوص.

فهي أحبّ الأعمال إلىٰ الله، وأعظمها بركة علىٰ صاحبها، وثمراتها تُنال في الدنيا قبل الآخرة، فبها تنشرحُ الصدور، وتزول الهموم، وهي عبادة أقرب ما يكون فيها العبدُ من ربه - وذلك حال سجوده- والتي هي أرجىٰ الحالات والهيئات لقبول الدعاء.

وهي أحسن الحسنات، وأشرف الطاعات، وسببٌ لرفعة المنازل والدرجات في الجنة.

وقد جمعت أعلىٰ أنواع العبوديات:

ففيها: الخضوع والخشوع والذلة لله.

وفيها: عبادات اللسان كلها من التلاوة والذكر والدعاء والصلاة علىٰ النبي ﷺ، وعبوديات الجوارح من الركوع والجلوس والتأدب في الجلوس بين يدي الله.

ولعظمتها شرعها الله في كل ملة، وأمر بها كل أمّة.

وهي أوّل ما يُحاسب عنه العبدُ، وأعظم ما يُوضع في ميزان الحسنات، وأنفع طاعة لصاحبها يوم القيامة بعد شهادة التوحيد.

وقد بلغ ذكرها في كتاب الله في مئات المواضع، تنويهًا بفضلها، وبيانًا لوجوبها، وتفصيلًا لبعض أحكامها، وكذلك جاء ذكرها في سنة نبينا محمد ﷺ في أحاديث كثيرة في بيان فضلها ومكانتها والثواب المترتب علىٰ فعلها، وخطورة تركها والتساهل فيها، فهي أوّل ما يُحاسب عليه العبدُ يوم القيامة، وهي التي تركها كفر في قول جمع غفير من أهل العلم.

فينبغي للعبد أن يجعلها أهم العبادات في حياته، وأن يعتني بها العناية الفائقة، ويحرص علىٰ أدائها علىٰ أكمل الوجوه، وذلك بالإتيان بشروطها وإكمال أركانها وواجباتها والمحافظة علىٰ سننها، والعناية بخشوعها فهو لُبها وروحها فالمصلون كثير ولكنّ الخاشعون قلة، فاحرص عليها أشدّ الحرص، واعتنِ بأدائها علىٰ أكمل وجه فلن تتقرّب لله بمثلها.

اللهم وفقنا لفعلها كما تحبه وترضاه.

الشعبة الثلاثون

العناية بيوم الجمعة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فيومُ الجمعة هو سيدُ أيام الأسبوع، والعبادة فيه أعلاها قدرًا، وأرفعها منزلة ومكانة، وقد منّ الله علىٰ هذه الأمّة بأن دلّهم عليه وعرّفهم فضله، يقول ﷺ: «**أضلَّ اللهُ عنِ الجُمُعة مَن كان قَبْلَنا، فكانَ لليهودِ يومُ السَّبت، وكان للنَّصارىٰ يومُ الأحد، فجاءَ اللهُ بنا فهَدَانا ليومِ الجُمُعة، فجَعَل الجُمُعة والسَّبتَ والأَحَد، وكذلك هم تبعٌ لنا يومَ القيامَةِ، نحنُ الآخِرونَ من أهلِ الدُّنيا، والأَوَّلونَ يومَ القِيامَةِ، المقضيُّ لهم قبلَ الخلائقِ..**» رواه مسلم.

والعناية والاهتمام به من دلائل الإيمان وشعبه.

وقد جاءت الآثار والأحاديث بفضله ومكانته، فمن ذلك قوله ﷺ: «**خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا**» رواه البخاري.

والمؤمنُ يُعظّم ما عظّم الله من الأشخاص والأزمان والأماكن فإنّ هٰذا من دلائل تقوىٰ القلوب.

وتعظيمُ يوم الجمعة يظهر بأمور، من ذلك:

تعظيم صلاة الجمعة وخطبتها بالعناية بأحكامها وفرضها وآدابها وسننها.

ومن ذلك: الاغتسال لها - وهو سنّة مؤكدة - وقد أوجبه بعضُ أهل العلم فلا ينبغي التفريط فيه.

ومنها: لبس أحسن الثياب، والتطيّب والسواك.

ومنها: الذهاب إليها مبكرًا.

وممّا يلاحظ هذه الأيام كثرة التأخر عن صلاة الجمعة في زهد عجيب لأجر الذهاب إليها مبكرًا مع ما جاء في فضله، وتأمّل في هٰذا الفضل يقول رسول الله ﷺ: «**من غسَّل يومَ الجمعةِ واغتسل، ثم بكَّر وابتكر، ومشىٰ ولم يركبْ، ودنا من الإمام، واستمع وأنصت ولم يَلْغُ، كان له بكلِّ خطوةٍ يخطوها من بيتِه إلىٰ المسجدِ عملُ سَنَةٍ أجرُ صيامِها وقيامِها**» وهو في صحيح الجامع.

قال بعض أهل العلم: هٰذا أعظم حديث في فضائل الأعمال (فتخيّل أنّ لك بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها) ولا شك أنّه لا يحرص علىٰ هٰذا إلا المؤمن الناصح لنفسه.

ولئن صعب علىٰ المرء أن يأتي كل جمعة مبكرًا - ولا صعوبة بجانب هٰذا الفضل العظيم - فلا أقل من أن يأتي ولو بعض الجُمع ليفوز فيه.

ومن تعظيم يوم الجمعة: تعظيم آخر ساعة منه، فقد كان كثير من السلف لا يخرجون من المسجد يوم الجمعة من بعد صلاة العصر إلىٰ مغيب الشمس اغتنامًا لهٰذا الوقت، ورجاءً لإدراك ساعة الإجابة والتي هي آخر ساعة منه.

ويُستحب كثرة الصلاة علىٰ النبي ﷺ فيه؛ فصلاة العبد في هٰذا اليوم معروضة علىٰ النبي ﷺ وهٰذا شرف كبير للمصلي عليه.

فلْنعرف قدر هٰذا اليوم ولْنعظّمه كما أمر الله، فإنّ العبد إذا عظّمه فاز بفضائله.

اللهم وفقنا لاغتنامه يا رب العالمين.

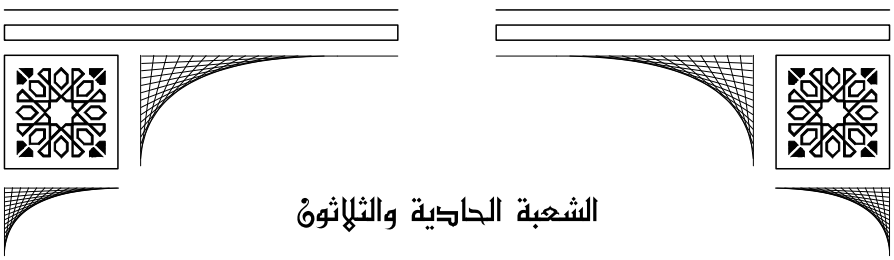

الشعبة الحادية والثلاثون

الصلاة نفلا

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فصلاةُ النافلة شرعها اللهُ زيادة في الفضل لعباده لتزداد حسناتهم، وترتفع درجاتهم، وينالوا الشرف الكبير في الوقوف دومًا بين يدي ربهم.

«والصلاةُ خير موضوع» كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ وهو في مسند أحمد.

والإكثار منها هدي الصالحين، والمقصود بالإكثار منها (الإكثار من صلاة النافلة) لأنّ الفريضة محدودة بالشرع المطهر.

ولمّا طلب الصحابي ربيعة الأسلمي رضي الله عنه مرافقة النبي ﷺ وجواره في الجنّة أرشده إلىٰ كثرة السجود (يعني الإكثار من صلاة النافلة).

ومن رحمة الله أن يسرها للعباد فيصليها العبدُ قائمًا أو قاعدًا ويصليها في سفره علىٰ دابته حيث توجهت به، وجعلها الله مباحة في غالب أوقات النهار وفي الليل كله، وهي أنواعٌ كثيرة، فمنها:

السنن الرواتب المرتبطة بصلاة الفريضة، وصلاة الليل - وهي أفضلها - وصلاة الضحىٰ، والنافلة المطلقة، ونوّعها الله ليعظم أجر العبد عند ربه.

وهي من أفضل التطوعات عند جمع من أهل العلم، ومن مكملات

الفريضة، والسبيل الأعظم لنيل محبة الله تعالىٰ، ففي الحديث القدسي: «**يقول اللهُ تعالىٰ: وَلَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ..**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وأعظم النوافل: الصلاة.

وفي الجملة فإنّ فضلها عظيم، وأثرها علىٰ صاحبها كبير، فينبغي لك - يا عبدالله - أن تزيد منها وتجاهد النفس علىٰ فعلها فهي تحتاج لصبر ومجاهدة، ولذا ترىٰ الزهد - مثلًا - في السنن الرواتب مع أنّ من صلاها كل يوم بُني له بيتٌ في الجنة ومع ذا يتكاسل عنها الكثير، بل ربما تكاسل عن سُنّة الفجر والتي هي خير من الدنيا وما عليها ولا شك أنّ هٰذا تفريط كبير.

وأيقن أنّك كلما ازددت منها ازددت لها حبًّا وفعلًا وجرّب تُدرك هٰذا.

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

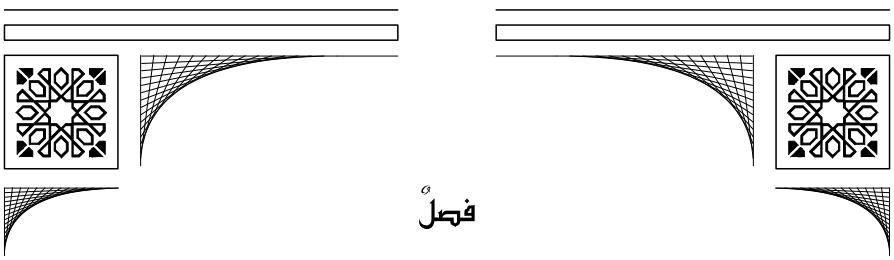

فصلٌ
في فضل قيام الليل

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فقيام الليل عبادة الأصفياء الأتقياء، والخلّص من الأولياء، وهي المقام الأسنىٰ للعبد في الدنيا، تقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - في بيان أهمية قيام الليل ومكانته -: «ما ترك رسول الله ﷺ قيام الليل حتىٰ أنّه إذا كان مريضًا صلىٰ جالسًا»

فانظر - يا رعاك الله - لعناية النبي ﷺ بهذه العبادة الجليلة.

ولقيام الليل فضائل كثيرة، منها:

- أنَّه من علامات المتَّقين المحسنين؛ يقول ربُّنا جلَّ في علاه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٤-١٨].

- ومن فضائله: أنّ صاحبه يُوصف بأنّه [نِعم الرجل] فقد جاء في صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ قال عنه: «**نِعم الرجل عبد الله لو كان يصلِّي من الليل**».

- ومن فضائله: أنَّه سبب من أسباب رحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، قال ﷺ: «**رحِمَ اللَّه رَجُلا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فصلى وأيْقَظَ امرأَتهُ، فإنْ أَبَتْ نَضحَ في وجْهِهَا الماءَ،**

رَحِمَ اللَّهُ امرَأَةً قَامت مِن اللَّيْلِ فَصلَّتْ وأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا فإِن أَبي نَضَحَتْ فِي وجْهِهِ الماءَ» رواهُ أَبُو داود بإِسنادِ صحيحٍ.

وفضائله لا تُحصىٰ، فينبغي لك - يا عبدالله - أن تكون لك ركعات يسيرة كل ليلة تداوم عليها.

فقيام الليل شرف المؤمن، وصلاة الليل أفضل من صلاة النهار.

وهناك أسبابٌ تعينك علىٰ القيام، منها:

البعدُ عن الذنوب والمعاصي؛ فالذنوب والمعاصي تمنع الإنسان شرف الوقوف بين يدي ربه تبارك وتعالىٰ، وهي سبب كل بلاءٍ وشقاءٍ وقد يُعاقب المرء بالحرمان من صلاة الليل بسببها وهو لايشعر.

ومنها: معرفة فضله - وقد تقدّم ذكر بعض فضائله -

ومنها: مجاهدة النفس، فصلاة الليل تحتاج إلىٰ مجاهدة وصبر.

ومنها: كثرة ذكر الله، فالإكثار من ذكر الله يُعطي الإنسان قوَّةً علىٰ العبادة.

ومنها: سؤال الله بصدق أن يجعلك من أهله، ولا تيأس من إدراك هٰذا الفضل فلعلك تُدرك شرف هذه العبادة بعد سنوات من المجاهدة والإلحاح بالمسألة.

اللهم أعنا علىٰ هذه العبادة واجعلنا من أهلها.

الشعبة الثانية والثلاثون

الزكاة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فاعلم - يا عبدالله - أنّ حقوق المال كثيرة، ومنها: الزكاة.

وهي ركن من أركان الإسلام العِظام، وفريضةٌ مِنْ فرائض هٰذا الدِّينِ الكامل.

وهي قرينة الصلاة في كتاب الله، وطهرة للمال، ونقاء لصاحبها من البخل والشح، وقد جاءت بوجوبها وفضائلها النصوص.

(ولو أُخرجت الزكاة كما ينبغي لكان حال الفقراء غير هٰذا الحال).

فرضها الله في أصناف محددة بقدر يسير لا يكاد يُذكر تيسيرًا علىٰ أرباب الأموال، وسدًّا لحوائج المحتاجين.

فعنِ ابنِ عُمَرَ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**بُنيَ الإسلامُ علىٰ خمسٍ: شهادةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ محمدًا رسولُ اللهِ، وإقامِ الصَّلاةِ، وإيتاءِ الزَّكاةِ، والحجِّ، وصومِ رمضان**» رواه البخاري ومسلم.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلَّىٰ الله عليه وآله وسلَّم قال لمعاذِ بنِ جَبلٍ رضي الله عنه حين بعَثه إلىٰ اليمنِ: «**وأعْلِمْهم أنَّ اللهَ افتَرَض عليهم صدقةً في أموالِهم، تُؤخَذُ مِن أغنيائِهم فتردُّ علىٰ فُقرائِهم**» رواه البخاري ومسلم.

ومن جحدها كفر، والمتكاسل عن أدائها علىٰ خطر عظيم، يقول الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة:٣٤-٣٥].

وفي حديث أبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**ما مِنْ صاحِبِ ذهَبٍ ولا فِضَّةٍ لا يؤدِّي منها حقَّها إلَّا إذا كان يومُ القيامةِ صُفِّحَتْ له صفائِحُ مِن نارٍ فأُحْمِيَ عليها في نارِ جهنَّمَ فيُكوىٰ بها جنبُه وجبينُه وظهرُه كلَّما بَرَدَت أُعيدَتْ له في يومٍ كان مقدارُه خمسينَ ألفَ سَنةٍ حتَّىٰ يُقضَىٰ بين العبادِ فيُرَىٰ سبيلَه؛ إمَّا إلىٰ الجنَّةِ، وإمَّا إلىٰ النَّارِ**» أخرجه مسلم.

وقد نوّع الله تعالىٰ العبادات ابتلاءً وامتحانًا لهم ولتزداد درجاتهم عنده.

والمال محبوب للنفس، فإذا أخرجه العبدُ كان في ذلك دلالة علىٰ استجابته لأمر الله وتعظيمه لأمر ربه.

وكم نسمع من تفريط لأرباب الأموال في هٰذا الركن، فليتق الله عبدٌ آتاه الله مالًا وبخل عن زكاته مؤثرًا حظ نفسه وحظ أولاده فهو بذا يُعرّض نفسه للعذاب الأليم وليوقن أنّ الزكاة تُنمّي المال وتبارك فيه.

وينبغي للعبد إن كان صاحب مال أن يتعرّف علىٰ أحكام الزكاة، ويجتهد عند إخراجها أن يُوصلها لمستحقيها، فهٰذا من تمام القيام بحق الله فيها.

اللهم قنا شح أنفسنا، وارزقنا السخاء وأداء ما أوجبته علينا في أموالنا.

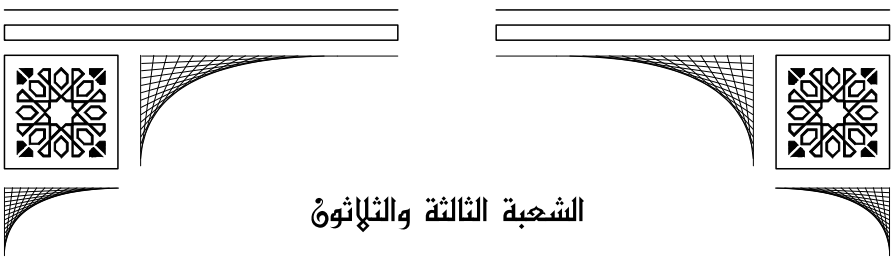

الشعبة الثالثة والثلاثون

الصدقة والنفقة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالصدقة والنفقة شُعبة من شُعب الإيمان التي رُتب عليها أجور كثيرة ويكفي في بيان فضلها أن جعل الله في الجنّة بابًا خاصًّا للصدقة اسمه (باب الصدقة) يقول - عليه الصلاة والسلام -: «. . . **ومن كان من أهل الصدقة دُعي من باب الصدقة**. .» رواه البخاري.

وقد وردت الآثار بفضلها، فهي من أسباب النجاة من النار، يقول ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**» رواه البخاري ومسلم.

وهي تمحو الخطيئة وتُذهب نارها، يقول ﷺ: «**والصدقةُ تطفئ الخطيئةَ كما يطفئ الماءُ النارَ**» وهو في صحيح الترغيب.

والمتصدق في ظل صدقته يوم القيامة، فعن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل امرئ في ظل صدقته حتىٰ يقضىٰ بين الناس**» رواه أحمد.

وفضائلها كثيرة جدًّا.

وإخفاء الصدقة والإسرار بها أفضل إلا إذا كان مصلحة الإعلان أعلىٰ كأن يكون قدوة فيُعلن بها، أو مُتهمًا بالبخل فينفي عنه هذه التهمة.

وصاحب صدقة السر من السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، يقول ﷺ: «**سبعةٌ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله - وذكر منهم - رجلٌ تصدق بصدقة فأخفاها حتىٰ لا تعلم شمالُه ما أنفقت يمينُه**» متفق عليه.

ومن الخطأ المنتشر: الاعتقاد أن الصدقة خاصة بالموسرين وأصحاب الأموال الكثيرة وفي هٰذا تحجير واسعٍ لها، فالصدقة مشروعة لكل مسلم، فقد قال ﷺ: «**أفضل الصدقة جهد المقل**» رواه أبو داود.

ومعنىٰ جهد المُقلّ: أي: الفقيرُ الَّذي معَه شَيءٌ قَليلٌ مِن المالِ، فينفق مع مَشَقَّةِ ذلك عليه.

وقال ﷺ: «**سبق درهم مائة ألف درهم. قالوا: وكيف؟ قال: كان لرجل درهمان تصدق بأحدهما، وانطلق رجل - أي رجل آخر - إلىٰ عرض ماله فأخذ منه مائة ألف درهم فتصدق بها**» رواه النسائي.

فلا تحتقر الصدقة باليسير ولا تحرم نفسك هٰذا الفضل والتقرب لله بهذه العبادة وإن كان شيئًا قليلًا في نظرك، فالله الكريمُ يُنمّيه لك فيصير أجره عظيمًا تقرّ به عينُك يوم القيامة.

والصدقة أبوابها كثيرة جدًّا فهي ليست فقط في الصدقة علىٰ الفقراء والمساكين بل هي شاملة للنفقة في أعمال البِرّ كلها من النفقة في الدعوة الىٰ الله من طباعه الكُتب وكفاله الدعاة وبناء المساجد وبناء المساكن وحفر الآبار ورعاية المرضىٰ ونحو ذلك، فكل ذلك داخل في الصدقة والإنفاق.

ومن المسائل المهمة في هٰذا الباب:

وجوب العناية بالنفقات الواجبة والتي هي أعظم الصدقات أجرًا كالنفقة علىٰ الوالدين الفقراء فالنفقة عليهم واجبة، ومنها النفقة علىٰ الزوجة والأبناء.

يقول رسول الله ﷺ: «**دِينارٌ أَنْفَقْتَهُ في سَبيلِ اللهِ ودِينارٌ أَنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ، ودِينارٌ تَصَدَّقْتَ به علَىٰ مِسْكِينٍ، ودِينارٌ أَنْفَقْتَهُ علَىٰ أَهْلِكَ، أَعْظَمُها أَجْرًا الذي أَنْفَقْتَهُ علَىٰ أَهْلِكَ**» رواه مسلم.

وممّا نغفل عنه -أيضًا- احتساب هذه النفقة مع أنّها أعظم أجرًا من سائر النفقات، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجهَ اللَّه إِلَّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّىٰ مَا تَجْعلُ في في امرأَتِكَ**» متفقٌ عَلَيهِ.

وقَالَ ﷺ: «**إِذَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَىٰ أَهْلِهِ نفقَةً يحتَسبُها فَهِي لَهُ صدقَةٌ**» متفقٌ عَلَيهِ.

بل إنّ تضييع الأهل وعدم الإنفاق عليهم خطيئة وإثم، فمن أدىٰ ما عليه سلم من هذه التبعات، يقول رسولُ اللَّه ﷺ: «**كَفي بِالمرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يقُوتُ**» رواه أَبو داود وغيره.

فافقه هذه المسائل - يا عبدالله - لتعبد الله علىٰ بصيرة في هٰذا الباب، ولتُنفق علىٰ أهلك منشرح الصدر محتسبًا الأجر عند الله.

الشعبة الرابعة والثلاثون

الصيام فرضًا ونفلًا

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالصيامُ شعبةٌ جليلة من شعب الإيمان، وعبادة عظيمة من عبادات المؤمنين الصادقين، وقد جاءت الآثار بفضله والحث عليه.

والصوم منه ما هو فرض: وهو صيام شهر رمضان.

ومنه ما هو واجب: كصيام النذر؛ فمن نذر أن يصوم لله وجب عليه الوفاء به.

ومنه ما هو مندوب ومستحب.

ولعِظم مكانة الصوم جعله الله من كفّارات الذنوب وأحكامه مفصّلة في كتب الأحكام.

وصيام رمضان ركن عظيم من أركان الإسلام جاءت النصوص بفرضه وفضله، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٣].

ومعنىٰ كُتِبَ: أي فُرض؛ وهو معلوم من الدين بالضرورة.

ويقول ﷺ - في بيان فضله -: «**الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمُعَةُ إِلَىٰ الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ؛ مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ**» رواه مسلم.

أمّا صوم النافلة فهو أنواع كثيرة، منها: صيام ثلاثة أيام من كل شهر، وصيام الإثنين والخميس، وصيام عاشوراء، وصيام يوم عرفة ونحوها من الأيام الفاضلة.

ومن تأمّل في فضله لم يفرّط أو يزهد فيه، فصوم يوم عرفة يكفّر ذنوب سنتين، وصوم يوم عاشوراء يكفّر ذنوب سنة، وصيام الست من شوال بعد رمضان يعدل صوم الدهر، وصوم ثلاثة أيام من كل شهر يعدل صيام السنة كلها، وصوم يوم وإفطار يوم أفضل الصيام، فهذه الفضائل تجعل المؤمن حريصًا (ولو علىٰ صيام ثلاثة أيّام من كل شهر، فلو قُدّر للمؤمن بقي ثلاثين سنة يصوم ثلاثة أيّام من كل شهر لجاء يوم القيامة بأجر صيام ثلاثين سنة كاملة؛ فما أعظم وأجلّ هذا الفضل، وهل يُفرّط فيه إلا محروم؟!).

ولعلو منزلة الصوم ورفعة مكانته جعل الله في الجنة باب الريان لا يدخل منه إلا الصائمون كما صحّ بذلك الحديث.

وممّا يدلّ علىٰ فضله أنّ النصوص لم تُبيّن مقدار ثوابه بل اختصه الله تعالىٰ لنفسه من بين سائر العبادات وذلك لشرفه وعلو منزلته، وحتىٰ يُكثر منه العبد ولا يستثقله، يقول ﷺ: «**يقول الله تعالىٰ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ له إلَّا الصِّيَامَ فإنَّه لي وأَنَا أجْزِي به؛ والصِّيَامُ جُنَّةٌ، وإذَا كانَ يَوْمُ صَوْمِ أحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ ولَا يَصْخَبْ، فإنْ سَابَّهُ أحَدٌ أوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، والذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِن رِيحِ المِسْكِ، لِلصَائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إذَا أفْطَرَ فَرِحَ، وإذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بصَوْمِهِ**» رواه البخاري.

وهو سر بين العبد وربه، وفيه تربية النفس علىٰ الصبر ومراقبة الله وتقديم حقه علىٰ محابّ النفس، وبه تتهذّب الأخلاق، فينبغي أن يكون للعبد حظٌّ منه فلا يقتصر صومه فقط علىٰ الفريضة، بل يكون له نصيب من صوم النافلة.

اللهم أعنّا علىٰ فعله وارزقنا الإخلاص في القول والعمل.

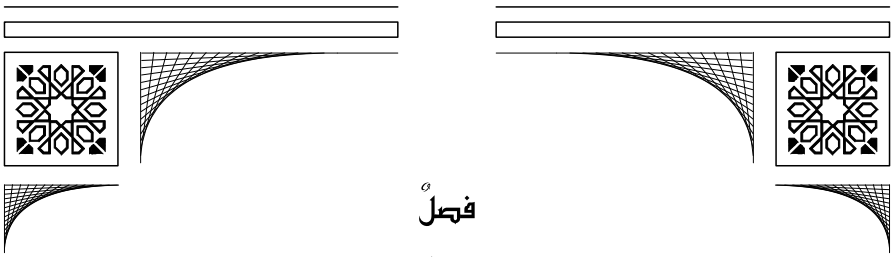

فصلٌ
في فضل الاعتكاف

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فاعلم - أيّها المؤمن - أنّ الاعتكاف شُعبة من شُعب الإيمان التي يقتدي أهلُها بنبيهم - عليه الصلاة والسلام - (فما ترك رسول الله ﷺ الاعتكاف منذ وصل المدينة) كما قال ذلك الإمام الزهري رَحِمَهُ اللَّهُ.

والاعتكاف: هو لزوم المسجد بقصد العبادة تقربًا إلىٰ الله.

وقد كان رسولنا ﷺ يعتكف في العشر الأواخر من رمضان، واعتكف في العام الذي مات فيه عشرين يومًا.

ومن لم يستطع أن يعتكف العشر الأواخر من رمضان كلها اعتكف بعضها، ومن لم يستطع فله أن يعتكف الليالي أو بعضها مما يُرجىٰ أن تكون ليلة القدر.

ويجوز الاعتكاف في أي وقت من العام، وليس له مدة محدودة عند جمع من أهل العلم، فقد أجاز بعضهم الاعتكاف ولو لساعة واحدة.

ومقصود الاعتكاف: التفرّغ للعبادة والخلوة بالله وهٰذا ما ينبغي أن يعتني به من يريد الاعتكاف، فالمعتكف يُشغل وقته كله بالطاعات تقرّبًا إلىٰ الله تعالىٰ طالبًا صلاح قلبه.

ومن أراد أن يعتكف عليه ألَّا يضيّع الواجبات المنوطة به من رعاية الأبناء

والقيام بمصالح المسلمين وما كُلِّف به من أعمال.

ولئن كان الاعتكاف غالبًا في رمضان إلا أنّه في الجملة ينبغي أن يكون للعبد أوقات يخلو فيها بربه كآخر الليل أو وسطه وتفريغ آخر ساعة من يوم الجمعة، فلهذه الخلوات أهميتها في صلاح القلب، ولذا قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليكن لأحدكم حظٌّ من العزلة» فالخلوة مطلب مهم للسائر إلىٰ ربه.

اللهم وفقنا لهداك واجعل عملنا في رضاك.

فصلٌ
في أهمية التماس ليلة القدر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالتماس ليلة القدر والعناية بشأنها شعبة يعتني بها المتاجرون مع ربهم، المؤمنون بصدق وعده، المجتهدون في عباداتهم.

وليلة القدر - كما لا يخفىٰ - هي في العشر الأواخر من رمضان، وهي ليلة شريفة منيفة رفيعة القدر والمكانة كان النبي ﷺ يعتني بها عناية فائقة ويعتكف في العشر الأواخر من رمضان لأجل أن يظفر بفضلها، واقتفىٰ أثره الصادقون من أتباعه، فاجتهدوا في العبادة رغبة في إدراكها، والفوز بفضلها.

وقد نوّه الله بفضلها ومكانتها في كتابه المجيد، وسمىٰ سورة باسمها وهي (سورة القدر) وأنزل فيها آيات تُتلىٰ إلىٰ يوم القيامة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر: ١- ٥].

وسمّاها الله ليلة مباركة، فقال سبحانه: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٣-٤].

فهي ليلة عظيمة الشأن تُقدّرُ فيها مقادير العام.

والمؤمن يعتني بها تعظيمًا لمن شرعها، ورغبة في نيل أجرها، فالعبادة فيها تعدل عبادة أكثر من ثلاث وثمانين سنة وهٰذا أمر لا يفرّط فيه إلا محروم.

ومن فضائلها أنّ: «**من قامها إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه**» كما صح بذلك الحديث عن رسول الله ﷺ وهو في صحيحي البخاري ومسلم.

والعناية بها إنّما تكون باستغراق أكثر الليل في عبادة الله تعالىٰ.

ومن قام العشر الأواخر كلها أدرك فضلها بإذن الله تعالىٰ.

اللهم يسر لنا قيامها ووفقنا لاغتنامها.

الشعبة الخامسة والثلاثون

الحج

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالحج شُعبة من شُعب الإيمان، وركن من أركان الإسلام - كما لا يخفىٰ - فهو من مبانيه العِظام التي عليها يقوم هٰذا الدين.

وهو عبادة جمعت عبادات كثيرة، فهو: عبادة مالية وبدنية، وفيه مفارقة الأهل والوطن، وفيه عبادات اللسان من الذكر والدعاء، وعبادة التضرع والاستكانة، وعبادة الاستسلام لأوامر الله، وعبادة التعلق بالله ورجائه، والرغبة بفضله ورحمته، وعبادة الدعوة إليه وغير ذلك من العبادات العظيمة.

ولذا جاء في فضله من الآثار ما لم يأتِ في غيره، فهو من مكفّرات الذنوب والخطايا والآثام، بل إنّ صاحبه يرجع من حجه كيوم ولدته أمّهُ، قال ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» رواه البخاري ومسلم.

وقد ذكر جمعٌ من المحققين كابن حجر وغيره أنّه شامل لتكفير الذنوب الصغائر والكبائر لقوله ﷺ: «**رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» وهو الظاهر من الحديث.

وهٰذا فضل عظيم جليل، ولذا حرص الصالحون علىٰ عدم الانقطاع عنه بل يتابعون بينه وبين العمرة رغبة في الأجر المترتب عليهما.

وينبغي لمن أراد الحج أن يُخلِص فيه لله فهو عبادة ظاهرة تحتاج لمراقبة الله حتىٰ لا يحبط أجر صاحبه، ويظهر هٰذا جليًّا في الإشارة إليه من قوله ﷺ في بعض ألفاظ الحديث: «**من حجّ لله**» فقوله: «**لله**» فيه الإشارة للإخلاص فيه.

ويجب علىٰ العبد أن يُسارع في أداء هٰذا الركن، فالحج واجب علىٰ الفور فمن أخره وهو قادر أثم.

وإنّك لترىٰ تساهل كثيرٍ من الناس في أداء هٰذا الفرض، فتجد أحدهم ينفق الأموال في السفر هنا وهناك وإذا جاء وقت الحج تعذّر بقلة المال، وهٰذا من التفريط الظاهر ومن تلاعب الشيطان بالمرء، فمثل هٰذا علىٰ خطر كبير فقد جاءت نصوص الوعيد الشديدة في عقوبة التفريط به وتأخيره.

ومن أعان غيره في أداء الحج نال مثل أجره كما أفاد بذلك الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تقريراته قياسًا علىٰ قوله ﷺ: «**مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقد غَزَا..**» مُتَّفقٌ عليه.

فليعتنِ المؤمن بهٰذا الركن العظيم وليقدر شرع الله حق قدره.

الشعبة السادسة والثلاثون

العُمرة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالعمرة هي الحجُّ الأصغر وشعبةٌ ظاهرة من شعب أهل الإيمان قد جاءت بفضلها النصوص.

والحرص عليها من سمات المحبين لربهم الذين يتشوقون دومًا للأماكن التي عظّمها الله وجعل فيها عظيم الثواب ومن أعظمها وأولاها ولا شك - بيته الحرام -.

والعمرة فضائلها كثيرة، وأجورها عظيمة جاء ذكرها في الأحاديث الصحاح عن نبينا محمد ﷺ، فهي من مكفّرات الذنوب والخطايا، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**الْعُمْرَةُ إِلَىٰ الْعُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالْحَجُّ الْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ**» رواه البخاري ومسلم.

بل عدّ بعضُ أهل العلم العمرة من مكفّرات كبائر الذنوب استنادًا لقوله ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**» رواه البخاري ومسلم.

فقالوا: قوله ﷺ: «**مَنْ أَتَىٰ هَذَا الْبَيْتَ**» شامل للحج والعمرة، ومثل هٰذا الفضل لا يُفرّط فيه إلا محروم.

وينبغي للمسلم ألَّا ينقطع عن البيت الحرام، بل يتابع أداء العمرة والحج إليه، فالمتابعة بينهما ينفيان شرور الدنيا والآخرة، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**» رواه النسائي.

ولمّا جاءت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ تسأله عن الجهاد للنساء أرشدها للحج والعمرة.

فقد روىٰ ابن خزيمة أنّ عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّه هَلْ عَلَىٰ النِّسَاءِ جِهَادٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ عَلَيْهِنَّ جِهَادٌ لَا قِتَالَ فِيهِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ**» رواه ابن خزيمة وهو حديث صحيح.

فدل هٰذا علىٰ فضل الحج والعمرة وأنّهما بالمقام الأسنىٰ من العبادات.

أيها المسلم:

عمرتك فيها إنفاق المال والسفر والترحال، وربما تلقىٰ بعض النصب والتعب ولكن أيقن أنّ ذلك كله - بإذن الله - سيكون في موازين حسناتك يوم تلقىٰ الله تعالىٰ إذا قبلها منك.

ولنحرص علىٰ أن نعوّد أبناءنا وأهلينا عليها، ونُحبب لهم السفر إليها، ونبيّن فضلها ليُؤدوها منشرحي الصدور فرحين فيها.

وبعض الآباء يطوف بأبنائه الدنيا، وينفق الأموال الكثيرة لأسفار النزهة، ويعجز أن يسافر بهم لهذه الرحلات الإيمانية المباركة.

فكن خير أب لأهل بيتك، وفز بأجور هذه العبادة العظيمة، فمن أعان غيره علىٰ طاعة كان له مثل أجره.

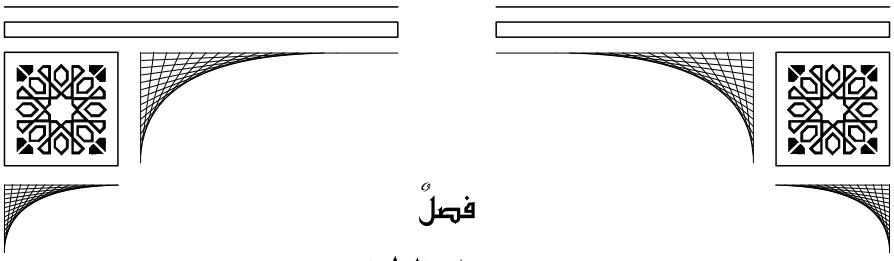

فصلٌ
في فضل الطواف

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالطوافُ من شعب الإيمان وهو عبادة مخصوصة في مكان مخصوص، وليس هناك مكانٌ يُطاف به في الدنيا إلا البيت الحرام، والطواف بغير البيت الحرام محرم علىٰ التفصيل التالي:

قال الشيخ ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: (أمّا من طاف علىٰ القبور والمشَاهد يُريد التقرّب إلىٰ أهلها ويستغيث بهم ويسألهم فقد وقع في الشرك الأكبر، أمّا الطواف بها بقصد التقرّب إلىٰ الله يحسبُ أنه جائز فهٰذا بدعة ومنكر وعليه التوبة منه).

فالطواف بالبيت الحرام من العبادات الجليلة، ومن شعائر الإسلام الظاهرة، ويشرع في كلِّ وقت وحين، ولقد أمر اللهُ عبادَه القائمين علىٰ البيت الحرام بتطهيره للطائفين لشرف عملهم، ورفعة شأنهم، فقال الله سبحانه: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البَقَرَة: ١٢٥].

وقال وَجَلَّ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾﴾ [الحَجّ: الآية ٢٦].

ووردت بفضل الطواف نصوص السُّنّة، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**مَا رَفَعَ رَجُلٌ قَدَمًا وَلَا وَضَعَهَا: إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَحُطَّ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ، وَرُفِعَ لَهُ عَشْرُ دَرَجَاتٍ**» رواه أحمد.

وقال - عليه الصلاة والسلام -: «**مَنْ طَافَ أُسْبُوعًا** - يعني سبعة أشواط - **يُحْصِيهِ، وَصَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ: كَانَ لَهُ كَعِدْلِ رَقَبَةٍ**» رواه أحمد والنسائي.

وفي البيت الحجر الأسود والركن اليماني وقد وردت في فضل مسحهما الآثار الصحيحة، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال - عن استلام الحجر الأسود والركن اليماني في الطواف -: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اسْتِلَامَهُمَا يَحُطُّ الْخَطَايَا**» رواه أحمد والنسائي.

وينبغي لمن طاف بالبيت أن يكون معظِّمًا لربه حال طوافه، مستحضرًا حال النبيين - عليهم الصلاة والسلام - الذين طافوا بهٰذا البيت المعظّم، ومن تبعهم من العبّاد الصالحين علىٰ مدار التاريخ فهو في عبادة جليلة القدر عظيمة الأجر.

وعليه أن يكون منشغلًا بالذكر والدعاء وتلاوة القرآن، فهٰذا من تعظيم شعائر الله تعالىٰ، ولا ينشغل بالتصوير بالجوالات أو الحديث بها - كما هو ظاهر في زماننا - أو الحديث مع من بجانبه إلا في حال الضرورة لأنّه في عبادة يرجو ثوابها ولتنتفع بها نفسُه ولا يكون ذلك إلا بحضور قلبه.

وكثير من الطائفين لا يشعر بلذة الطواف لانصراف ذهنه عن استحضار عظمة هذه الطاعة.

ومن كان ماكثًا في مكة فينبغي له أن يستغلَّ وجوده في الحرم بكثرة الطواف، فهو عبادة محددة في هٰذا المكان فقط بخلاف غيرها من العبادات.

ويُستحب له - أيضًا - أن يُكثر من صلاة النافلة، فصلاة النافلة في مكة - علىٰ الصحيح من أقوال أهل العلم - تعدل مئة ألف صلاة شأنها شأن الفريضة.

الشُّعبة السابعة والثلاثون

حسن الخلق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فحُسن الخلق له مكانته العالية في ديننا الحنيف حتىٰ قال رسول الله ﷺ: «**إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق**» وفي روايةٍ: «**صالحَ الأخلاقِ**» وهو في السلسلة الصحيحة للإمام الألباني.

وفي حديث أبي أمامة رضي الله عنه جاء ذكره علىٰ الخصوص وأنّه من شعب الإيمان، يقول ﷺ: «**وإنَّ أفضَلَكُمْ أحسَنُكُمْ أخلاقًا، وإنَّ مِنَ الإيمانِ حُسْنَ الخُلُقِ**» وإسناده حسن.

وكان رسول أحسن الناس خُلُقًا كما زكّاه الله من فوق سبع سموات بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: الآية ٤].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما كان أحد أحسن خُلُقًا من رسول الله ﷺ ما دعاه أحد من أصحابه ولا من أهل بيته إلا قال: لبيك).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «**إنّ من خياركم أحسنكم أخلاقًا**» متفق عليه.

والآثار المرغبة في حسن الخلق كثيرة، وهذه طائفةٌ منها:

أَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ عن أَبِي الدرداء رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا مِنْ**

شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ».

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنّة؟ قال: «**تقوىٰ الله وحسن الخلق**» رواه الترمذي.

وقال النبي ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**» رواه الترمذي.

وسُئل ﷺ: من أحبُّ عباد الله إلىٰ الله؟ فقال: «**أحسنهم خلقًا**» رواه الطبراني وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح.

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: «**إنّ من أحبكم إليَّ وأقربكم منّي مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا**» رواه الترمذي.

والواحد من هذه النصوص كافٍ للتحلي به، فكيف وقد اجتمعت بهذه الكثرة وهٰذا التنوّع؟!

وصاحب الخلق الحسن محبوب عند الناس.

ومن أحبه الله وضع له القبول في الأرض.

والتحلي بالخلق الحسن مع الإيمان هو في حقيقته اقتداء برسول الله ﷺ الذي جعله الله أسوة للعالمين.

وبالخلق الحسن يحصل الوئام والتآلف في المجتمع يقول الله - تعالىٰ -: ﴿**وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ**﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٩].

ولقد تنوّعت تعريفات السلف في بيان معنىٰ حسن الخلق، فقال بعضهم: هو كفّ الأذىٰ، وبذل الندىٰ، وتحمّل الأذىٰ.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: حُسْنُ الْخُلُقِ اخْتِيَارُ الْفَضَائِلِ وَتَرْكُ الرَّذَائِلِ.

وحُسنُ الخُلق له جوانب كثيرة، فهو شامل لتعامل الناس مع بعضهم،

ومن ذلك لقياهم بالوجه الطلق، وبذل المعروف والإحسان لهم، ومخاطبتهم بالكلام الحسن والتلطف بالقول معهم وحسن الظنّ بهم، ومن مظاهره البعد عن الغضب، والعفو عن المخطئين وغير ذلك.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت
واصرف عنّا سيئها لا يصرف عنّا سيئها إلا أنت.

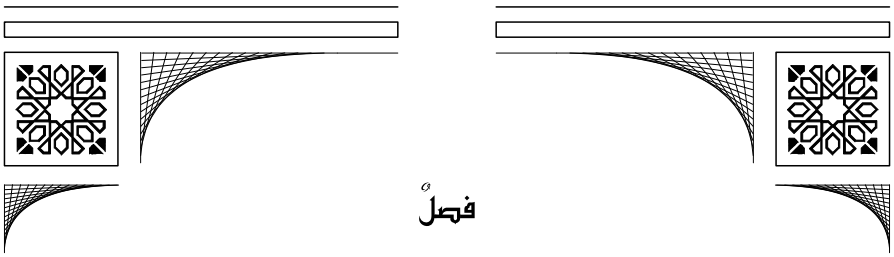

فصلٌ
في أسباب تحصيل الخلق وآثاره

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فاعلم أنّ هناك أسبابًا يكتسبُ بها المرء الخلق الحسن، فمتىٰ ما أخذ بها استقامت سيرته وحسن خُلقه بإذن الله، ومن ذلك:

- قوةُ الإيمان وسلامةُ العقيدة؛ فالعقيدة الصحيحة - ولا أصح من عقيدة أهل الإسلام - تحمل صاحبها علىٰ مكارم الأخلاق من صدق وحلم وكرم وشجاعة.. ونحو ذلك، كما أنها تردعه عن مساوئ الأخلاق من كذب وشح وطيش...ونحوها.

- **ومنها**: الدعاء؛ فمن رغب بالتحلي بمكارم الأخلاق وطمع بالتخلي عن مساوئها فليلجأ إلىٰ ربه، وليصدق في الطلب ليرزقه حسن الخلق ويصرف عنه سيئه، ولهٰذا كان النبي ﷺ يقول في دعائه: «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**» رواه مسلم.

وكان من دعائه ﷺ: «**اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء والأعمال والأدواء**» رواه الحاكم وصححه.

- **ومنها**: المجاهدة؛ فالخُلُق نوع من الهداية يحصل عليه المرء بالمجاهدة

الدائمة المستمرة، فاجعل غايتك الوصول إلىٰ تحسين خلقك، ولا تيأس من ذلك وأيقن أنّ مع الصدق في هٰذا المطلب ستتغير فيك أخلاق تكرهها من نفسك.

- **ومنها**: التفكر في الآثار المترتبة علىٰ حسن الخلق، والنظر في عواقب سوء الخلق، ومن تأمل في هٰذا جيدًا أيقن أنّ كل خير إنّما يناله العبد في دنياه وأخراه بحسن الخلق.

- **ومنها**: أن يضع المرء نفسه موضع الآخرين؛ فلا يؤتي الناس إلا ما يحب أن يُؤتوه إياه، وهي قاعدة عظيمة في التمييز بين الأخلاق الحسنة والسيئة أرشد إليها النبي ﷺ بقوله: «**لا يؤمن أحدكم حتىٰ يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» متفق عليه.

- **ومنها**: مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة، وإدامة النظر في السيرة النبوية الشريفة ثم النظر في سيرة الصحابة الكرام رضي الله عنهم وقراءة سِيَر أهل الفضل والصلاح فلهذه القراءة الأثر في تحسين الخلق.

أمّا آثار حُسن الخلق فلا حصر لها، قال بعضهم:

الْحَسَنُ الْخُلُقِ من نفسه في راحة والناس منه في سلامة، وَالسَّيِّئُ الْخُلُقِ الناس منه في بَلَاءٍ وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَنَاءٍ.

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: عَاشِرْ أَهْلَك بِأَحْسَنِ أَخْلَاقِك فَإِنَّ الثَّوَاءَ فِيهِمْ قَلِيلٌ.

ومن آثار حسن الخلق: تحلي صاحبه بصفة الحياء فلا يصدر منه ما يشين، ويكون قليل الأذىٰ، كثير الصلاح، صدوق اللسان، لطيف الكلام، قليل الزلل، بعيدًا عن الفضول، برًّا، وصولًا، وقورًا، صبورًا، شكورًا، رضيًّا، حكيمًا، رفيقًا، عفيفًا، شفيقًا، لا لعَّانًا ولا سبَّابًا ولا نمَّامًا ولا مغتابًا ولا عجولًا

ولا حقودًا ولا بخيلًا ولا حسودًا، بشّاشًا هشّاشًا يحب في الله ويبغض في الله ويرضىٰ في الله ويغضب في الله. . .

فهذه بعض آثار حسن الخلق.

فاحرص - يا عبدالله - علىٰ التحلي بهذه المنقبة العظيمة، والخُلة الرفيعة، وسنستعرض بعض الأخلاق الحسنة والتي هي من شُعب الإيمان لنجعلها في حياتنا ونتقرّب لله بها.

اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت،
واصرف عنّا سيئها لا يصرف عنّا سيئها إلا أنت.

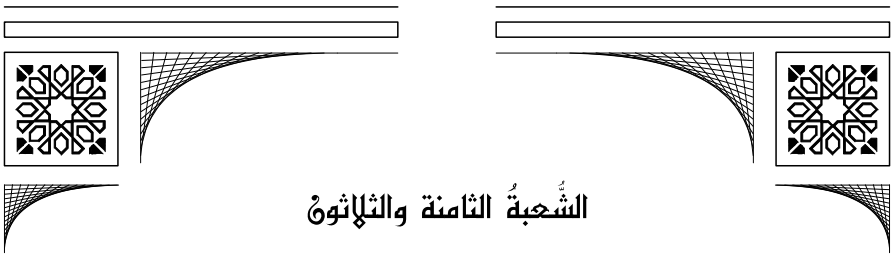

الشُّعبةُ الثامنة والثلاثون

الرحمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالرحمة شعبةٌ شريفة كريمة من شعب الإيمان، وخُلق كريم من أخلاق أهله متىٰ ما تحلىٰ بها المؤمن فاز فوزًا عظيمًا.

ومعنىٰ الرحمة: (العطف واللين والرأفة بمن تتعامل معه، فلا تكون غلظة في القول، ولا تكليف له فوق الطاقة في العمل).

ورسولُنا ﷺ أعظم النّاس رحمة فقد كان يرحم الزوجةَ والصاحب والصغير والكبير وسائر من يتعامل معهم، يقولُ أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ» رواه مسلم.

وحثّ ﷺ علىٰ الرحمة، وأثنىٰ علىٰ الرحماء، وأرشد النّاس إلىٰ أن يتراحموا لتنتشر المحبة والألفة بينهم، وليسود خلق الرحمة في المجتمع، ورحمة الخلق سببٌ في رحمة الخالق سبحانه - وهي أكبر نعمة وأعظم مقصود - يقول رسول الله ﷺ: «**الراحمُونَ يَرحمُهُم الرحمنُ، ارْحَموا مَنْ في الأرض يرحمْكُم من في السَّماءِ**» أخرجه الإمام الترمذي.

وبالرحمة يبتعد المؤمنُ عن القسوة - وهو وصف شنيع - قال عنه رسول الله ﷺ: «**لا تُنْزَع الرحمة إلا من شقي**» رواه الترمذي.

ومن لا يرحم يُخشىٰ عليه الحرمان من رحمة الرحمن - سبحانه - يقول رسول الله ﷺ: «**مَن لا يَرحم لا يُرحم**» متفق عليه.

وأحقُّ النّاس بالرحمة الوالدان - خصوصًا عند الكِبر - ثمّ الأبناء والبنات منهم علىٰ الأخص، واليتامىٰ ونحوهم من المستضعفين.

وممّا يُرغّب بالرحمة والتحلي بها أنّها صفة من صفات أهلِ الجنّة، يقول ﷺ: «**وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**» رواه مسلم.

فكيف لا تتحلىٰ بها وهي السبيل لأغلىٰ دار، وأكرم جوار جعلك اللهُ من أهلها.

والجنّة هي الدارُ التي يرحمُ الله بها عبادَه، ففي الحديث يقول الله تعالىٰ للجنة: «**أنت رحمتي، أرحم بك من أشاء من عبادي**» رواه البخاري.

والرحمة لا بد أن تكون في موضعها اللائق بها، فأهلُ الإجرام المعتدون علىٰ الخلق حقهم إقامة الحدود لأنّ في رحمتهم فساد النّاس والمجتمع.

اللهم جمّلنا بخلق الرحمة، واجعلنا من عبادك الرحماء.

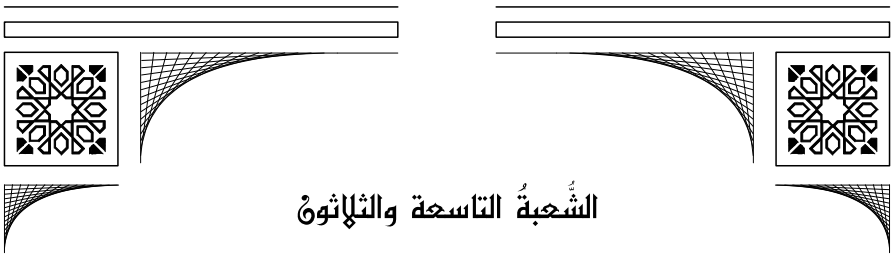

الشُّعبةُ التاسعة والثلاثون

التواضع

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالتواضع شعبة من شعب الإيمان، وحقيقته: (خفض الجناح للمؤمنين ولين الجانب لهم، وألَّا يرىٰ أنّه أفضل من غيره، وأعظم ما يكون التواضع عند ورود الأمور الشرعية فيقبلها بتواضع وتذلل).

والتواضع ممّا أمر الله به، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾﴾ [الإسرَاء: الآية ٣٧].

وحثّ النبيُّ ﷺ أمتَه للتحلّي به، فقال: «**إِنَّ اللَّهَ تعالىٰ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ ولَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ**» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ.

وهو السمة الأبرز لنبينا - عليه الصلاة والسلام -، فهو سيدُ المتواضعين، فإنّ الله أمره بذلك فكان أسرع المستجيبين، قال الله تعالىٰ له: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٢١٥].

وتواضعه كان ظاهرًا في حياته كلها منذ نشأته، مرورًا ببعثته، وانتهاءً بدخوله مكة متواضعًا متذللًا لله، بل في فصول حياته كلها كان متواضعًا فلم يبطر عند غلبة عدو، ولم يترفّع علىٰ صاحب أو زوجة أو حتىٰ طفل أو أمة، بل كانت الجارية تأخذ بيده حيث أرادت في تواضع ظاهر منه، فصلوات

الله وسلامه عليه.

والتواضع الذي يرضاه الله عن عبده هو: التواضع الكامل، والاستجابة التامة لشرعه وأوامره فلا تكبّر عند ورود النص بل هو محض الائتمار والاستجابة، وأمّا ردّ النصوص ومحاولة تحريفها فهو من دلائل الكِبر المذموم.

لقد تكبّر إبليسُ وتمرّد علىٰ الله وشرعه فكان عاقبة كِبره الطرد والإبعاد من رحمة الله، وتكبرت الأمم العاتية عن الله والاستجابة لرسله فخسرت الدنيا والآخرة.

والتواضعُ أكمل ما يكون مع الوالدين، ومع أهل الفضل، وكبار السنّ.

وأصدق ما يكون مع الصغار والضعفاء، فالتواضع معهم من أبرز علامات رسوخ هٰذا الخلق في النفس، وهو دليل سموها.

وبعض النّاس يظنّ أن التواضع مذلة ومهانة وهٰذا ظنٌّ خاطئ، بل كلما تواضع المرء ارتفع وعلا شأنه عند الله وعند خلقه يقول رسول الله ﷺ: «**وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه**» رواه مسلم.

وينبغي أن يتواضع المرء استجابة لأمر ربه، وابتغاء فضله، لا تصنّعًا للخلق فيكون التواضع ظاهرًا، والقلب منطوٍ علىٰ الكِبر والعياذ بالله.

اللهم اهدنا لهٰذا الخلق الرفيع، وارزقنا الإخلاص فيه.

الشعبةُ الأربعونَ

الرفق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالرفق شُعبة من شُعب الإيمان، وعلامة من علامات أهل الإحسان، والرفق كما عرّفه ابن حجر هو: (لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضد العنف).

وجاءت النصوص الكثيرة الدالة علىٰ أهميته، وبيان فضله ومكانته وآثاره، وحثّنا نبينا ﷺ علىٰ التحلي به في حياتنا كلها دون استثناء، وبيّن أنّ الله -سبحانه - يُحب الرفق، ويُعطي عليه ما لا يُعطي علىٰ العنف بخلاف ما يظنّ أهل الغلظة والجفاء، يقول ﷺ: «**إن الله يُحِبُّ الرِّفقَ في الأمرِ كلِّه**» رواه البخاري.

ويقول ﷺ: «**يا عائشة؛ إنَّ الله رفيقٌ يحبُّ الرِّفْقَ، ويُعْطِي علىٰ الرِّفْقِ ما لا يُعْطِي علىٰ العُنْفِ، وما لا يُعْطِي علىٰ ما سِواه**» رواه مسلم.

والرفق يزيّن كل عمل، ويُجمّل كل قول، ويهذّب كل سلوك، يقول ﷺ: «**إنَّ الرِّفْقَ لا يكونُ في شيءٍ إلا زانَهُ، ولا يُنْزَعُ من شيءٍ إلا شانَهُ**» رواه مسلم.

بل إذا حُرم المرء الرفق حُرم الخير كله، وفي هٰذا تنفير شديد من الغلظة والفظاظة التي يظنّ النّاس أنّها تُعطي صورة للشخصية القوية للإنسان وهو

خطأ بيّن، يقول ﷺ: «**مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ**» رواه مسلم.

وفي رواية: «**مَنْ أُعْطِيَ حَظَّه مِنَ الرِّفْقِ فقَدْ أُعْطِيَ حظَّه من الخير، ومَنْ حُرِمَ حظَّه من الرِّفْق فقَدْ حُرِم حظَّه من الخير**» رواه الترمذي.

تعيش المجتمعات والبيوتُ اليوم كثيرًا من المشاكل والخصومات، والسبب الأعظم في ذلك: البعد عن الرفق.

فالبيت المليء بالرفق يتسع علىٰ أهله، وتسوده المحبة والمودة، يقول عليه الصلاة والسلام - في هٰذا الشأن -: «**يا عائشة ارْفُقِي، فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرًا دلَّهم علىٰ باب الرِّفق**» رواه أحمد.

ولم تقف توجيهات الشريعة في الرفق لأفراد الأمّة فقط، بل امتدت في الحثِّ عليه علىٰ أعلىٰ المستويات، وهو مستوىٰ الولايات الكبرىٰ وما دونها من الولايات كولاية الدائرة الحكومية وولاية الأسرة وغيرهما.

وقد جاء الحث عليه بطريقة الدعاء ليعتني بها كل والٍ تولىٰ ولاية صغرت أو كبرت، وليحذر من يخالف هٰذا النهج، فقال ﷺ: «**اللهم مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتي شيئًا فشَقّ عليهم فاشْقُقْ عليه، ومَنْ وَلِيَ مِنْ أمرِ أُمَّتي شيئًا فرَفَقَ بهم فارْفُقْ به**» أخرجه مسلم.

فاجعل الرفق في حياتك لتنال خيراته وبركاته.

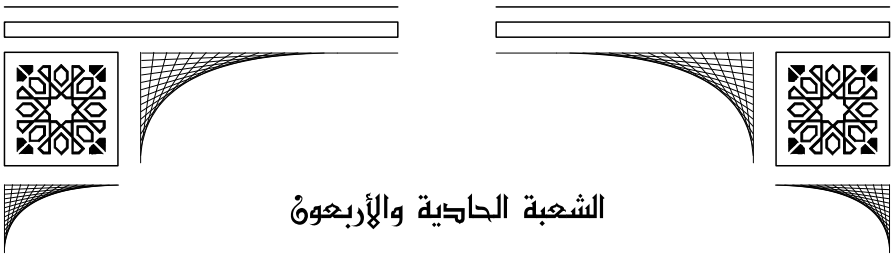

الشعبة الحادية والأربعون

الحياء

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالحياء **هو رأس الفضائل الخُلُقية، وعماد الشعب الإيمانية**، ودليل العبد إلىٰ تحصيل الهدىٰ والفلاح، يدل علىٰ هٰذا ما وردت به من نصوص حاثّة عليه، ومن ذلك قوله ﷺ: «**الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**» رواه مسلم.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **في تعريف الحياء**: هو خُلُقٌ يبعث صاحبه علىٰ اجتناب القبيح، ويمنع مِن التقصير في حقِّ ذي الحقِّ.

والحياء شعبة نصّ عليها رسولُ الله ﷺ في حديث شعب الإيمان، ممّا يُبيّن أهميته وفضله، قال بعض أهل العلم: إنّما خصّه رسول الله ﷺ بالذكر لأنّه السبب الأقوىٰ لباقي شعب الإيمان.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: خُلق الحَيَاء مِن أفضل الأخلاق وأجلِّها، وأعظمها قدرًا، وأكثرها نفعًا، بل هو خاصَّة الإنسانيَّة.

وبيّن رسولنا - عليه الصلاة والسلام - مكانته بكلمة جامعة، بقوله: «**إنّ الحياء لا يأتي إلا بخير**» كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البخاري.

فتأمّل هٰذا اللفظ الجامع منه - عليه الصلاة والسلام - الذي بيّن مكانته وكثرة آثاره وبركته علىٰ صاحبه.

فدلّ ذلك علىٰ فضله، ورفعة منزلته، فحريٌّ بالعبد أن يتمثّله ويجعله في حياته.

ومن كان متحليًا بالحياء سلِم من تبعات الآثام من فظاظة الألفاظ وشناعتها ومن سوء الأفعال ودناءَتها لأنّ حياءَه قد دله لكل خير.

وأعظم ما يكون الحياء: الحياءُ من الله تعالىٰ؛ فيستحي العبد من التقصير في حق ربه الذي وهبه النعم.

ومنه: حياء العبد من نفسه التي أكرمها الله فيستحي أن يُدنسها بالمعاصي أو الأخلاق المشينة، أو أن ينقضي العُمُر في المعاصي وقد وهبه الله هٰذا العمر القصير ليطيعه.

ومنه: حياؤه من الخلق، فيستحي من أن تُشوَّه سُمعتُه وينال منه الناس بالذكر السيِّئ.

والحياء خُلُق الإسلام الذي تميَّز به المسلمون عن غيرهم، يقول النبي ﷺ: «**إنّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلامِ الْحَيَاءُ**» رواه ابن ماجه.

فاجعل هٰذا الخلق في حياتك لتسعد في الدارين.

اللهم جمّلنا به، واجعلنا ممّن يستحي منك حق الحياء.

الشعبة الثانية والأربعون

العفاف

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن شُعب الإيمان الشريفة: العِفّةُ والعَفاف.

يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**إنَّ الحياءَ والعفافَ والفقه من الإيمان**» رواه أحمد وهو في السلسلة الصحيحة.

والعِفّةُ: هي الكفُّ عمَّا لا يحلُّ ويجمُلُ.

ومن ذلك: العفَّةُ عن اقتراف الشَّهوة المحرَّمة، والعفَّة عن أكل المال الحرام، وعن ممارسة ما لا يليق.

وهو خلق إيماني رفيع يتحلىٰ بها المؤمن ويحمله علىٰ البعد عن سفاسف الأمور الخادشة للمروءة والحياء.

والعِفّةُ من أوائل ما كان يأمر به رسول الله ﷺ في بداية بعثته، فدل ذلك علىٰ أهميتها وشرفها، جاء في حديث هرقل لمّا سأل أبا سفيان رضي الله عنه: «وبماذا يأمركم؟ فقال أبو سفيان: يقول اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئًا، واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمرنا بالصَّلاة والزَّكاة والصَّدقة والعفاف..» وهو في صحيح البخاري رحمه الله.

ومن أعظم صور العِفّة التي سجلها القرآن الكريم: عِفة يوسف عليه السلام الذي

دعته امرأة العزيز إلىٰ الفاحشة فعفّ عن هٰذا الجرم، فأصبح قدوة لغيره من بعده في العفاف، وصار مثالًا في امتثال هٰذا الخلق الرفيع، قال الله تعالىٰ: ﴿وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِى هُوَ فِى بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٣، ٢٤].

والكفّ عن الفاحشة وعِفّة النفس مع قوة الدواعي دليل علىٰ قوة إيمان صاحبها، وخوفه من الله، وشدة مراقبته له ولذا كان جزاء من يفعل ذلك الفوز بظل عرش الرحمن ﷻ ففي الحديث يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ** - وذكر منهم - **وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخافُ اللَّه**» والحديث متفقٌ عَلَيْهِ.

ونحن في زمان نحتاج فيه لتقوية العِفّة في النفوس مع كثرة المغريات، وسهولة الوصول للمعصية، فمن امتثل العِفّة دل ذلك علىٰ عظيم إيمانه، وصدق مراقبته لله، ونال الثناء من الخلق، وفاز بما وعد الله به أهلَ العِفة من الدرجات العلا في الجنّة.

ومن العِفة: كفّ اللسان عن الأعراض، فيكفّ لسانه عن السخرية والغيبة والنميمة، وعن اتهام الناس بالباطل، والتورع عن الوقوع في أعراض الناس، والتنابز بالألقاب ونحوها من الأخلاق المشينة.

ومنها: العِفّة عن أموال الناس، والتورع عن المتشابه منه، وعن كل ما يُدني منه.

ومنها: التَّعفُّف عن الدَّناءات: كالجشع في الولائم والتَّسابق علىٰ الطَّعام.

ويدخل في التَّعفُّف جانبٌ مهمٌّ؛ وهو: التَّعفُّف عن كُلِّ ما وهب الله للآخرين من متاع الحياة الدُّنيا فلا ينظر إليها ولا يحسدهم عليها، قال الله تعالىٰ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: الآية ١٣١].

وتكون العِفّةُ - أيضًا - في السمع، فمن عُدمها في سمعه: أصغىٰ إلىٰ المسموعات القبيحة، ولم يتورع عن كفّ سمعه، فتجد عنده الفضول لما يدور بين الناس من أحاديث.

فصارت العِفّة سبيلًا لكل خير وحجابًا عن كل شر.

وهٰذا الخلق الكريم يمكن اكتسابه، والتحلي به، قال رسول الله ﷺ: «**ومن يستعفف يعفَّه الله**» رواه البخاري.

ويكتسبه المرء بكثرة الدعاء، فقد كان من دعائه ﷺ: «**اللهم إني أسألك الهدىٰ والتقىٰ والعفاف والغنىٰ**» رواه مسلم.

فَتَحلَّ بهٰذا الخلق النبيل، فإنّ فيه شرف الدنيا والآخرة.

اللهم ارزقنا إيّاه واجعلنا من أهل العِفة يا رحمن.

الشُّعبة الثالثة والأربعون

حسن العهد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فحفظ الجميل، ورعاية الود من سمات أهل المعروف والإحسان الذين طُبعت نفوسهم علىٰ معرفة الفضل لأهل الفضل، وعدم نسيان الإحسان مدىٰ الدهر، قال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الحُرُّ من راعىٰ وداد لحظة».

وعقد الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في صحيحه في كتاب الأدب بابًا بعنوان: «باب حسن العهد من الإيمان».

وأعظم الخَلْق رعاية للعهد، وامتثالًا لهٰذا الخُلق الرفيع هو رسولُ الله ﷺ الذي لم ينس العهد لكل من عاشره من أصحابه وزوجاته، فقد كان يُراعي عهودهم ويحفظ إحسانهم وأعمالهم وبذلهم للدين.

زار في آخر حياته - عليه الصلاة والسلام - شهداء أحد كالمودِّع لهم، وكان كثيرًا ما يزور أهلَ البقيع الذين ماتوا في حياته وصحبوه ويدعو لهم كثيرًا.

ومن أظهر صور حسن العهد له ما كان يصنع مع زوجته خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعد موتها، وهي التي عاش معها ردحًا من الزمن، وأحسنت عشرته أيّما إحسان، وكانت سندًا له في بداية بعثته، فحفظ لها هٰذا العهد طيلة حياته

حتىٰ أنّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كانت تقول - ممّا رأت من حفظه لودها وذكره لها -: (ما غِرتُ علىٰ أحد من نساء النبي ﷺ ما غِرتُ علىٰ خديجة؛ هلكت قبل أن يتزوجني وما رأيتها، ولكن كان النبي ﷺ يُكثر من ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاءً ثم يبعثها في صدائق خديجة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن، تقول عائشة: فربما قلت له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأةٌ إلا خديجة؟ فيقول لها: «**إنها كانت وكانت، وكان لي منها الولد**» رواه البخاري.

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: في هٰذا الحديث دلالة حسن العهد، وحفظ الود، ورعاية حرمة الصاحب والمعاشرة حيًّا وميتًا، بل وإكرام معارف ذلك الصاحب.

وجاءت عجوز إلىٰ النبي ﷺ، فأحسن استقبالها وقال لها: كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله، فلما خرجت، قلت: يا رسول الله تُقبل علىٰ هذه العجوز هٰذا الإقبال؟ فقال: «**يا عائشة إنها كانت من صواحب خديجة، وإنها كانت تأتينا زمان خديجة، وإن حُسن العهد من الإيمان**» رواه البخاري.

فهكذا كان - عليه الصلاة والسلام - حافظًا للعهد مراعيًا للفضل لم ينسه أبد الدهر، فصلوات الله عليه علّم البشرية كل خلق شريف.

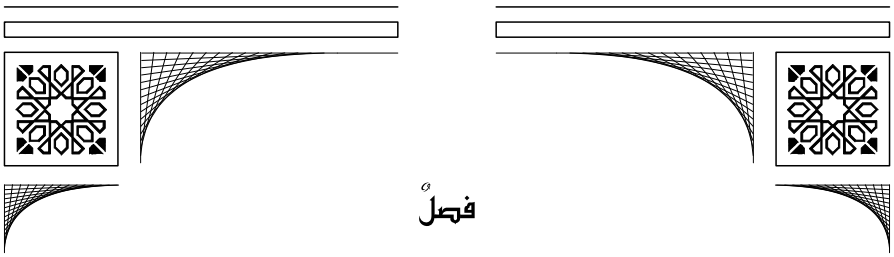

فصلٌ
في سير السلف مع حسن العهد

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فلقد ورث الصحابُة - رضوان الله عليهم - حسن العهد من رسولهم ﷺ وامتثلوه في حياتهم وصار طبعًا وخلقًا لهم لأنّهم أعظم الناس اتباعًا لهديه - عليه الصلاة والسلام -.

كان أسامةُ بنُ زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحبّ الناس إلىٰ رسول الله ﷺ فلمّا مات النبي - عليه الصلاة والسلام - أحبه الصحابةُ أكثر من أولادهم لأنه كان أحب الناس إلىٰ رسول الله ﷺ، وكان من قوله: «**من أحبني فليحب أسامة**» رواه مسلم.

فحفظوا عهد نبيهم ﷺ فيه.

ويومًا من الأيّام كان ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يمشي في الصحراء علىٰ دابته فقابله أعرابي فتوقف ابن عمر ونزل، ووقف معه، وقال: ألست فلان بن فلان؟ قال: بلىٰ، ثم ألبسه عمامة كانت عليه، وقال له: اشدد بها رأسك، ثم أعطاه دابته، وقال: اركب هٰذا فتعجّب أصحابُ ابن عمر من صنيعه معه، وقالوا له: إنّ هٰذه من الأعراب وهم يرضون بالقليل، فقال: إنّ أبا هٰذا كان وِدًّا لعمر، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من أبرِّ البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي**» والقصة في صحيح مسلم.

مات عمر، لكن ابنه عبد الله قد حفظ العشرة والمودة لأبيه، وهٰذا من حسن العهد، وتاريخنا مليء بذلك.

وحسن العهد أولىٰ ما يكون مع الوالدين فيُحسن صحبتهما، ويحفظ حقهما وإحسانهما السابق بالإحسان إليهما بقية العمر، فهما أحق الناس بذلك ولا إحسان فوق إحسانهما.

وحسنُ العهد يكون بين الزوجين، فالزوجة تعرف فضل الزوج وتذكر مكانته، ويكون من الزوج بالاعتراف بجميل عشرة زوجته وحسن تربيتها للأبناء ورعاية شؤون البيت والأسرة.

إنّ نكران الفضل بين الزوجين من النكران المشين، فتتنكر الزوجة لفضل زوجها، ويتنكر الزوج لزوجته ولا يحفظ لها عهدها ومعروفها الذي تقوم به، ومن نظر في سيرة رسول الله ﷺ مع زوجاته وجد عكس ما يفعله الجفاة مع زوجاتهم.

وحسن العهد يكون بين القرابة خصوصًا الإخوة والأخوات، فيحفظ عهدهم ولا يُقصّر في حقوقهم، بل يتواصل معهم ولا يتنكّر لهم.

وحسن العهد يكون مع الجيران حتىٰ وإن رحلوا عنك، ويكون مع زملاء العمل حتىٰ وإن تفرقوا، ومع الأصدقاء القدماء الذين تقادم العهد معهم.

هٰذا هو شأن حسن العهد الذي يكون عليه أهلُ الفضل من أهل الإيمان.

وبالمقابل فإنّ نكران الجميل ليس من سمات الأوفياء من الخلق، الذين لا يحفظون ودًا ولا يُراعون عهدًا، ولا يتذكرون فضلًا سابقًا لمن أحسن إليهم، ومن كان كذلك صار موضع ذم بين الناس.

فاحفظ عهد كل من عاشرته ولو لفترة بسيطة فضلًا عمّن عاشرته زمنًا طويلًا،

والناس ينقلون سير بعضهم في حياتهم وبعد مماتهم فلتكن لك ذكرىٰ حسنة بينهم وقبل ذلك ذكرًا جميلًا في السماء.

اللهم اجعلنا من أهل الوفاء، وممن يحفظون العهد والود لمن عاشروا.

الشعبة الرابعة والأربعون

الغَيْرةُ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن شُعب الإيمان: الغَيْرة.

والغَيْرة: بفتح الغين وسكون الياء هي: كراهة الرجل اشتراك غيره فيما هو حقه.

وقد جاءت النصوص بمدح أهلها، وأنّها من شُعب الإيمان، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الغَيْرةُ من الإيمانِ**» أخرجه البزار كما في مجمع الزوائد للهيثمي، وإسناده حسن.

والغَيْرةُ صفة من صفات الله فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**المؤمن يغار، والله أشد غيرًا**» رواه مسلم.

ولكنّها ليست كغَيْرة البشر بل هي صفة تليق به فلا نكيّفها أو نُمثّلها أو نشبهها.

وهي - أيضًا - صفة من صفات خير البشر، فقد كان رسول الله ﷺ أغْيَر الخلق، وكذلك كان حال أصحابه الكرام من بعده، فعن المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قالَ سَعْدُ بنُ عُبَادَةَ: لو رَأَيْتُ رَجُلًا مع امْرَأَتي لَضَرَبْتُهُ بالسَّيْفِ غيرَ مُصْفَحٍ، فَبَلَغَ ذلكَ رَسولَ اللَّهِ ﷺ فَقالَ: «**أَتَعْجَبُونَ مِن غَيْرَةِ سَعْدٍ، واللَّهِ لَأَنَا**

أَغْيَرُ منه، واللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي، ومِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الفَوَاحِشَ ما ظَهَرَ منها وما بَطَنَ، ولَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللَّهِ، ومِنْ أَجْلِ ذلكَ بَعَثَ المُبَشِّرِينَ والمُنْذِرِينَ، ولَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ المِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، ومِنْ أَجْلِ ذلكَ وعَدَ اللَّهُ الجَنَّةَ» رواه البخاري ومسلم.

ويُروىٰ أنّ امرأة تقدّمت إلىٰ مجلس القاضي موسىٰ بن إسحاق بمدينة الريّ فادّعىٰ وكيلها بأن لموكِّلته علىٰ زوجها خمسمائة دينار (مهرها) فأنكر الزوج فقال القاضي لوكيل الزوجة: شهودك.

قال: أحضرتهم.

فطلب بعض الشهود أن ينظر إلىٰ المرأة ليشير إليها في شهادته، فقام الشاهد وقال للمرأة: قومي.

فقال الزوج: ماذا تفعلون؟

قال الوكيل: ينظرون إلىٰ امرأتك وهي سافرة الوجه، لتصحّ عندهم معرفتها (وذلك للحاجة).

قال الزوج: إني أُشهد القاضي أنّ لها عليّ هٰذا المهر الذي تدّعيه ولا تُسفر عن وجهها.

فقالت المرأة: فإني أُشهِد القاضي أني وهبت له هٰذا المهر وأبرأتُ ذمته في الدنيا والآخرة. فقال القاضي (وقد أُعجِب بغَيرتهما): يُكتب هٰذا في مكارم الأخلاق.

إنّ الغَيْرة مظهر من مظاهر الرجولة الحقيقية، كيف لا وهي صيانة للأعراض، وحفظ للحرمات، وتعظيم لشعائر الله، وحفظ لحدوده، وهي دليل علىٰ قوة الإيمان، ورسوخه في القلب، ومن قرأ في سير العرب وجد هٰذا الخُلُق مستقرًّا

في نفوس حتىٰ الجاهليين الذين تذوقوا معاني هذه الفضائل، وربما قامت الحروب غَيْرة علىٰ المرأة، وحفاظًا علىٰ عرضها.

قال في الإحياء: «**كلُ أمة وُضِعت الغَيْرة في رجالها وُضِعت الصيانة في نسائها**».

قال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أشرف الناس وأعلاهم همة أشدهم غَيْرة».

قال العلامة بكر أبو زيد في كتابه القيّم (حراسة الفضيلة): «الغَيْرة هي ما ركّبه الله في العبد من قوة روحية تحمي المحارم والشرف والعفاف من كل مجرم وغادر».

فهي صفة شريفة كريمة إذا اتصف به الرجل عُدّ من الأسوياء النبلاء، وإذا فُقدت منه صار موطنًا للذم بين الخلق.

اللهم ارزقنا كل صفة تُحبها في عبادك واصرف عنّا كل خلق مشين.

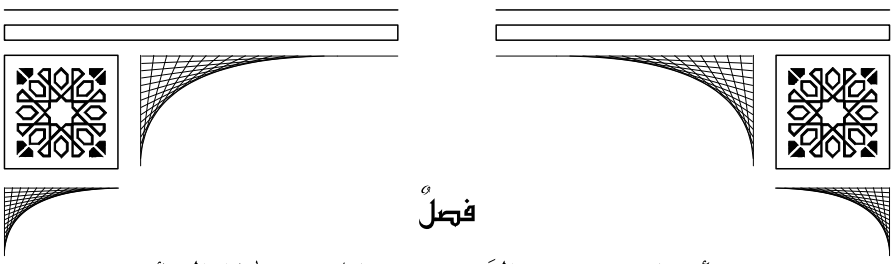

فصلٌ

في أسباب ضعف الغَيْرة ومسائل في هٰذا الشأن

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فاعلم أنّ هناك أسبابًا تُضعف الغَيرة يَحُسن بالمرء أن يتعرّف عليها حتىٰ يتجنبها، **فمن هذه الأسباب**:

ضعف الإيمان؛ فكلما كان العبد أقوىٰ إيمانًا كان أشد حفظًا لنفسه ولأهله من أي شيء يلوث سمعتهم أو يقتل حياءهم ودينهم، ولا يضعف الإيمانَ إلا الذنوب، وإذا ضعف الإيمان هان علىٰ العبد مخالفة الدين والفطرة السليمة.

ومن أسباب ضعف الغَيرة: البعد عن تعاليم الإسلام وآدابه وأخلاقه؛ فالإسلام جاء بمكارم الأخلاق، والتي منها الغَيْرة علىٰ المحارم.

ومن أسباب ضعف الغَيْرة: الجهل بخطورة موت الغَيْرة، وموتها نذير شؤم لصاحبها.

ومن أسباب ضعف الغَيْرة: الجهل بعظم المسؤولية تجاه الأهل، فالرجل مسؤول يوم القيامة عن رعيته من بنت وزوجة وأخوات، فهم أمانة في عنقه، فيجب عليه تربيتهم التربية الإسلامية الصحيحة، وأن يحميهم من الأقوال البذيئة والأفعال القبيحة والسلوكيات الخاطئة.

ومن أسباب ضعف الغَيْرة: الغلو في الثقة بالأهل إلىٰ حد التعامي عن أمور واضحة بيّنة تخدش الشرف والعفاف، بحيث يتساهل في خروج أهله ودخولهن متىٰ شاؤوا وكيف شاؤوا، فهو يتعامىٰ عنهم باسم الثقة.

ومن أسباب ضعف الغَيْرة: الإعلام الفاسد بوسائله المختلفة، الذي يُصوّر الغَيْرة بصور مذمومة ويدعو للتمرّد علىٰ الولي.

فهذه بعض أسباب ضعف الغَيرة فاحذرها، واعلم أنّ المسؤولية عظيمه في حفظ الأعراض.

ولقد جاءت وصايا السلف الكثيرة في الاعتناء بهٰذا الخلق، كان علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول للذين فقدوا غَيْرتهم علىٰ محارمهم: (ألا تستحيون؟! ألا تغارون؟! يترك أحدُكم امرأته تخرج بين الرجال، تنظر إليهم وينظرون إليها).

وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (بلغَني أنَّ نساءَكم يُزَاحِمْنَ العلوج في الأسواق، أما تغارون؟ إنه لا خيرَ فيمَن لا يَغار).

ويقول ابن القيم: (إنّ أصل الدِّين الغَيْرة، ومن لا غيرة له لا دين له، فالغَيْرة تحمي القلب فتحمي له الجوارح، فتدفع السوء والفواحش، وعدم الغَيْرة تميت القلب، فتموت له الجوارح).

والغَيْرة خصلة يحبها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فيكفي صاحبها هٰذا الفضل.

وصاحبها ممدوح بين الخلق، وهي سبيل لحماية المجتمع من الانحراف وبقائه مجتمعًا سويًّا، ولذا من نظر إلىٰ المجتمعات التي ضعفت عندها الغَيْرة وجد ما يندىٰ له الجبين من المصائب.

ولنعلم أنّ الشيطان له دور في إضعاف الغَيْرة عند الناس لعلمه بآثار هٰذا الضعف، وقد أشار القرآن الكريم لهٰذا بقوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ

ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

فهو يسعىٰ لهتك الستور لعلمه بسوء عواقبها.

إنّ التفريط في الغَيْرة يُثمر وللأسف صورًا محزنة من تساهل النساء في حجابهنّ ولباسهنّ، وما يجرّ ذلك من ويلات ومخاز للعبد، فلذا ينبغي تقويتها وتعزيزها في النفوس، وتربية الأبناء علىٰ التحلي بها، وإنّك لترىٰ اليوم من التساهل في هٰذا ما هو ظاهر، فأصبح المجتمع وقد تغيّرت فيه أمور لم تكن معهودة من قبل.

قال بعضُ أهل العلم:

وكما يجب علىٰ الرجل أن يغار علىٰ زوجته وعِرضه فإنّه يُطلب منه الاعتدال في الغَيْرة، فلا يبالغ فيها حتىٰ يسيء الظن بزوجته وأهل بيته، ولا يُسرف في تقصي حركاتهم وسكناتهم لئلا ينقلب البيت نارًا، وإنما يصح ذلك إن بدت أسباب حقيقية تستدعي الريبة، قال ﷺ: «**إنَّ من الغَيْرة ما يحبُّ الله، ومنها ما يكره الله؛ فالغَيْرة التي يحبُّها الله الغَيْرة في الريبة، والغَيْرة التي يكرهها الله الغَيْرة في غير ريبة**» رواه أبو داود.

فهٰذا الحديث يدل علىٰ أنّ الغَيْرة نوعان:

غَيرة ممدوحة، وهي الغَيرة التي لها سبب ظاهر.

وغَيْرة مذمومة وهي التي لا سبب لها ظاهرًا، وقد جاء النهي عنها كما هو ظاهر الحديث السابق، وقد نبه عليها السلف، يقولُ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لا تكثر الغَيْرة علىٰ أهلك فتُرمىٰ بالسوء من أجلك).

اللهم احفظنا وأهلينا وجنبنا كل خلل وضعف ومهانة.

الشعبة الخامسة والأربعون

البذاذة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فقد أخرج أبو داود رَحِمَهُ اللَّهُ في سننه عن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الأنصاري الحارثي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: ذكر أصحابُ رسول الله ﷺ يومًا عنده الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «**ألا تسمعون؟ ألا تسمعون؟ إنّ البذاذة من الإيمان، إنّ البذاذة من الإيمان**».

قال المنذريّ رَحِمَهُ اللَّهُ: البذاذة، هي: التّواضع في اللّباس برثاثة الهيئة، وترك الزّينة، والرّضا بالدّون من الثّياب.

والمقصود من الحديث ما ذكره ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «أراد التواضع في اللّباس وترك الافتخار به» اهـ.

ولقد كانت حياة النبي ﷺ مبنية علىٰ التواضع في ملبسه ومسكنه وحياته كلها حتىٰ وفاته، ففي الصّحيحين عن أبي بُرْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دَخَلْتُ عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَأَخْرَجَتْ إِلَيْنَا إِزَارًا غَلِيظًا مِمَّا يُصْنَعُ بِالْيَمَنِ وَكِسَاءً مِن الَّتِي يُسَمُّونَهَا الْمُلَبَّدَةَ، قَالَ: فَأَقْسَمَتْ بِاللَّهِ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قُبِضَ فِي هَذَيْنِ الثَّوْبَيْنِ.

ففي هٰذا الحديث إشارة إلىٰ أنّه ﷺ كان ولم يزل زاهدًا في لباسه إلىٰ أن قُبض مع أنّ الله قد فتح عليه الدنيا في آخر حياته ولكنّه ما زاده هٰذا إلا زهدًا

فيها لعلمه أنّها لا تساوي شيئًا، وتبعه علىٰ ذلك كبار صحابته - رضوان الله عليهم -.

والزهد في الدنيا دليل علىٰ تعلق القلب بالآخرة وترفعه عن هٰذا المتاع الزائل، والعاقل حري به أن يزهد في الدنيا ولا يُعلق قلبه فيها لأنها لا تساوي شيئًا ومهما جمع المرء منها فمصيره إلىٰ النُّقلة عنها وتركها وراءه ظهريًّا وسيُحاسب عليها.

وإذا تعلق القلب بالدنيا ركن إليها وصارت شغله الشاغل وأضره ذلك كثيرًا وتكاسل عن المبادرة إلىٰ الطاعات والتقصير في الحقوق الواجبة كالزكاة والنفقة الواجبة، ولذا كان الزهد فيها هو شأن كل عاقل وناصح لنفسه.

وإذا ترك الإنسان رفيع اللباس في الدنيا وهو قادر عليه نال من لباس الآخرة ما تقرّ به عينُه، يقول رسول الله ﷺ: «**من ترك اللباس وهو يقدر عليه تواضعًا لله دعاه الله علىٰ رؤوس الخلائق يوم القيامة حتىٰ يُخيّره من حُلل الإيمان يلبس من أيها شاء**» صحّحه الألباني في السلسلة الصحيحة.

ولا يعني الزهد في اللباس أن يكون المرء متبذلًا في لباسه، ففي الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «**إنّ الله يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده**» رواه الترمذي.

ولما سئل النبي ﷺ عن الرجل يحب أن يكون نعله حسنًا وثوبه حسنًا؛ فقال - عليه الصلاة والسلام -: «**إنّ الله جميل يحب الجمال**» رواه..

وإنّما المقصود عدم المبالغة فيه أو أن يكون هو شغله الشاغل وهمه الأكبر.

فاللباس المعتدل لا يُذم عليه صاحبه ولكن ترك الترفع مع القدرة ممّا يعلي صاحبه عند الله ولا يزال الناس يمدحون من هٰذا شأنه.

والتواضع كما أنّه في اللباس يكون في مثيلاتها من المراكب والمساكن.

وإننا نعيش اليوم إسرافًا وتجاوزًا للحد في الملبس والمركب والمسكن ممّا أثقل كواهل الناس بالصرف الزائد فأقحموا أنفسهم بالديون ممّا أدّىٰ إلىٰ ترك النفقة الواجبة، والحرمان من الصدقة بنوافل أموالهم بسبب هٰذا الإسراف المذموم.

ففتح الناس علىٰ أنفسهم أبوابًا كانت مغلقة فقد كانوا يعيشون إلىٰ زمن قريب بالكفاف والاقتصار علىٰ ما يقتاتون به وكانت حياتهم طيبة، وعيشتهم هنية.

أمّا اليوم فقد توسعوا توسّعًا مُفرطًا وأصابهم بسبب هٰذا التوسع الهمّ والغمّ مع كثرة الديون، ولذا ينبغي للمرء أن يكون عاقلًا في صرفه، مدبّرًا لشؤونه حتىٰ يعيش حياة طيبة، **ولذا قال بعض السلف**: «حسن التدبير نصف الكسب، وسوء التدبير داعية البؤس؛ والإفلاس سوء التدبير».

اللهم بصّرنا في تدبير أمورنا، وأصلح لنا ديننا ودنيانا.

الشعبة السادسة والأربعون

بِرُّ الوالدين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فبِرُّ الوالدين شُعبة شريفة يتحلَّىٰ بها المؤمن الصادق الوفيّ، فهو شعار الأوفياء، وهدي الأتقياء، وصفة الأولياء.

والنصوص في فضل برهم ظاهرة، وعلو مراتب البارّين بوالديهم بارزة.

اتصف بها الأنبياء الكرام - عليهم الصلاة السلام -، فها هي الآيات تصف يحيىٰ عليه السلام بأنّه كان بارًّا بوالديه ولم يكن جبّارًا عصيًّا، قال الله تعالىٰ عنه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾ [مريم: الآية ١٤].

وها هو عيسىٰ عليه السلام يُثنىٰ الله عليه في كتابه بأنّه كان بارًّا بوالدته ولم يكن جبّارًا شقيًّا، قال الله تعالىٰ عنه: ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾﴾ [مريم: الآية ٣٢].

قال أهل العلم: لا يكون البّارُ شقيًّا ولا عصيًّا.

بِرُّ الوالدين من أحسن الحسنات، وأفضل القربات، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: أيُّ العمل أحب إلىٰ الله تعالىٰ؟ قال: «**الصلاة علىٰ وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله**» متفق عليه.

وبِرُّ الوالدين هو: حسن العشرة لهما، والأدب في الأقوال معهما، وسدُّ حاجتهما، وبذل المعروف لهما، والقيام علىٰ خدمتهما، وإدخال السرور عليهما.

بِرُّ الوالدين ثمراته ينالها البَارُّ في الدنيا قبل الآخرة، من تيسير الأمور، وتفريج الهموم، وصلاح الأحوال، وسعادة الروح، وبعكسه العاق فإنّ شؤم عقوقه عليه في الدنيا قبل الآخرة، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**ما من ذنبٍ أجدرُ أن يعجِّل اللهُ تعالىٰ لصاحبه العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدَّخر له في الآخرةِ مثل البغيِ وقطيعةِ الرحمِ**» رواه أبو داود.

ولا شك أنّ العقوق أشنع أنواع القطيعة.

وأمّا في الآخرة فيكفي في التحذير منه ما جاء في قوله ﷺ: «**لا يدخل الجنّة عاق**» رواه النسائي.

والتقصير في حق الوالدين ظاهر وللأسف في حياة كثير من الأبناء من هجرهم وترك رعايتهم انشغالًا بالنفس والأولاد وترك الإنفاق عليهم والقيام بخدمتهم ونحو ذلك.

فجدير بالناصح لنفسه أن يراجع نفسه فيه كل يوم، وأن يغتنم فرصة وجودهم فيبَرهم ويُحسن إليهم، فوجودهم نعمة يتمنّاها من فقدهما أو فقد أحدهما.

اللهم أعنّا علىٰ برهما يا أرحم الراحمين.

الشعبة السابعة والأربعون

صلةُ الأرحام

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فصلةُ الرحم شعبة أهل التقىٰ والصلاح، والخير والفلاح، أوصىٰ اللهُ بها في كتابه، وبيّن فضلها رسولنا ﷺ في سنته.

ومن رحمة الله بالعباد أن أرشد إليها لتتآلف القلوب، وتجتمع النفوس، ولتكون الحياة طيبة، فلا طيب للحياة بدون هذه الخصلة، واسألوا المتقاطعين عن شؤم القطيعة عليهم وعلىٰ ذرياتهم.

والآيات في الأمر بصلة الأرحام كثيرة، يقول الله تعالىٰ: ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الروم: ٣٨].

وصلة الرحم من أسباب دخول الجنة، قال الله تعالىٰ - في وصف أعمال أهلها-: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: الآية ٢١].

وصلة الرحم: تعني الإحسان إلىٰ الأقربين وإيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم.

في صلة الرحم: بركات الدنيا والآخرة، يقول - عليه الصلاة والسلام -:

«**من أحب أن يُبسَط له في رزقه، ويُنسَأ له في أثره** - وفي رواية: **في أجله - فليصل رحمه**» متفق عليه.

ومعنىٰ ينسأ: يُؤخر له فيه فيطول عمره.

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: «**ليس شيءٌ أُطِيع الله فيه أعجلَ ثوابًا من صلة الرحم، وليس شيء أعجلَ عقابًا من البغي وقطيعة الرحم**» صحّحه الألباني في صحيح الجامع.

وصلة الرحم تكون بالزيارة والمواصلة الدائمة - خصوصًا في المناسبات - وتكون بالعيادة عند المرض، وبالإنفاق عليهم عند الحاجة، وبالتعاهد بالنصيحة لهم، وفي بذل كل صور المعروف لهم.

والتواصل مع الأقربين هدي الصالحين، فينبغي لمن كان مقصرًا فيها أن يصلح حاله معها فالبعض لطول العهد بعدم مواصلة قرابته يستمر بتقصيره خوفًا من العتاب.

وقد يكون المرء غير قاطع لرحمه ولكنّه مقصرٌ في صلتهم وهٰذا قلما يُتفطن إليه، بل إنّك لا تكاد تبعد عن الصواب لو قلت إنَّ هٰذا حال الكثير مع أرحامهم في زماننا، ولا شك أنّ هٰذا تقصير في باب الصلة فلابد من السؤال عنهم ومواصلتهم.

وليحذر العبد أن يُقابل جفاء قرابته بجفائه أو قطيعتهم بقطيعته فهٰذا ليس شأن المؤمن الناصح لنفسه، بل عليه أن يصبر وإن آذوه، ويحتسب صبره عليهم، وأن يقابل إساءتهم بالإحسان، وقطيعتهم بالوصل كما أمره اللهُ تعالىٰ، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**ليس الواصل بالمكافِئ، ولكنّ الواصل الذي إذا قُطعت رحمه وصلها**» رواه البخاري.

فأحسن لقرابتك مهما جفوك، وصلهم وإن قطعوك، فأنت إنّما تتعامل مع الله تبارك وتعالىٰ وترجو الأجر منه.

اللهم أعنا علىٰ القيام بهذه العبادة المباركة كما أمرتنا.

الشعبة الثامنة والأربعون

الإحسانُ بين الزوجين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فحسن العشرة بين الزوجين من شعائر أهل الإيمان حيث يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًا**» رواه الترمذي.

فالزوجان بينهما عشرة عُمر طويلة، وهما ألصق اثنين ببعضهما وقد جعلت الشريعة بينهما حقوقًا وواجبات، فعلىٰ الزوجة أن تؤدي هذه الحقوق كما أمرها الله من طاعته وحفظ نفسها وبيته فحقه عليها عظيم حتىٰ قال النبي ﷺ: «**لو كنتُ آمرًا أحدًا أن يسجدَ لغيرِ اللهِ لأمرتُ المرأةَ أن تسجدَ لزوجِها والذي نفسُ محمدٍ بيدِه لا تؤدِّي المرأةُ حقَّ ربِّها حتىٰ تؤدِّيَ حقَّ زوجِها كلَّه حتىٰ لو سألها نفسَها و هي علىٰ قَتَبٍ لم تمنَعْه**» وهو في السلسلة الصحيحة.

وحسنُ العشرة من الزوج دليل كمال دينه، وتمام مراقبته لربه، فالمرأة كالأسيرة عند الرجل، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**ألا واستوصوا بالنساء خيرًا، فإنما هن عَوانٍ عندكم** (يعني: كالأسيرات)» رواه الترمذي.

وجعل ﷺ خيرية المرء مرتبطة بالإحسان لأهله، فقال: «**خيرُكم خيرُكم لأهلِه وأنا خيرُكم لأهلي**» رواه الترمذي.

فينبغي الإحسان إليها، **ومن الإحسان إليها**:

تأديبها وتعليمها ودلالتها علىٰ كل خير، وتحمّل أخطائها، والإنفاق عليها، وسدّ حاجتها، ومعاشرتها بالمعروف. . فكل ذلك داخل في حسن الخلق الذي جاءت بفضائله النصوص الكثيرة.

وإنّ ما نراه اليوم من كثرة مشاكل البيوت، وفشو الطلاق إنّما هو في الغالب من عدم إحسان العشرة بين الزوجين، والتقصير في الواجبات بين الطرفين، وكُلّما كانت مراقبة الزوجين لربهما حاضرة كان حسن العشرة بينهما ظاهرًا، وكانت السعادة ترفرف علىٰ ذلك البيت.

ومن رأىٰ واقع العالم الغربي - البعيد عن هدي الإسلام - والتفكك الأسري عندهم عرف عظمة الإسلام وقيمة تعاليمه وتشريعاته التي تدعو لكل فضيلة وإحسان، وأيقن معها بكماله وفضله علىٰ أتباعه.

فكن خير الناس يا عبدالله تفز بالأجر العظيم من الله وحسن الثناء من الخلق.

الشعبة التاسعة والأربعون

العناية بالأبناء ورعايتهم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالعناية بالأبناء ورعايتهم من شعب الإيمان الدالة علىٰ مراقبة الله، وتحمّل المسؤولية التي حمّلها اللهُ عبدَه، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» رواه البخاري ومسلم.

ومن مطالب أهل الإيمان صلاح ذريتهم، قال الله تعالىٰ عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفُرقان: الآية ٧٤].

ولا يتم هٰذا إلا برعايتهم وتربيتهم علىٰ الخلق الإسلامي الرفيع، وأعظم ما يُربي عليه المؤمنُ أولادَه: تربيتهم علىٰ تعظيم الله وإجلاله ومراقبته، وإقامة شعائر الله-ومن أعظمها الصلاة - فيُربيهم علىٰ تعظيمها وأدائها في وقتها، ويربيهم علىٰ الأخلاق الإسلامية الحسنة، وعلىٰ المكارم والشيم.

ولقد ذكر الله لنا جملة من هذه الوصايا في سورة لقمان يوصي بها لقمانُ ابنه، فينبغي للأب أن يجعلها نبراسًا له في التربية.

ولقد كان رسولُنا - عليه الصلاة والسلام - أعظم المربِّين لأولاده وسيرته مليئة بأعلىٰ أنواع التربية فمن رام الخير له ولولده فليقرأها ويتعلمها علىٰ

الدوام.

إنّ تربية الأبناء ثمرتها يراها صاحبُها في الدنيا براحة البال، وطمأنينة النفس، وبرؤية أبناء بررة صالحين تقرّ بهم عينه، ويلحقه أثرهم بعد مماته بدعوات صالحة تُرفع منهم له فيرتفع بها درجات في جِنان الخلد، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**إنَّ الرَّجلَ لتُرفَعُ درجتُه في الجنةِ فيقولُ: أنَّىٰ هٰذا؟ فيقالُ: باستغفارِ ولدِك لكَ**» رواه ابن ماجه.

والمرء إذا بذل جهدًا مع أبنائه ولم يظفر بمطلوبه، فإنّه لن يلحقه لوم لأنّ الهداية بيد الله ولا يُلام المرء بعد اجتهاده، ولكن عليه بذل المستطاع وعدم اليأس، وعليه بالصبر علىٰ هذه التربية فإنّها مشروع عُمر لا ينتهي فلربما يرىٰ نِتاج تربيته بعد سنوات وهٰذا مشاهد كثيرًا في دنيا الناس وواقعهم فاصبر ولا تيأس ولا تقطع الدعاء لهم بالصلاح والهداية.

اللهم أصلح نياتنا وذرياتنا، اللهم اجعلهم قرة عين لنا.

الشعبة الخمسون

رحمةُ الخدم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن محاسن الدين الإسلامي العناية بالضعفاء بجميع فئاتهم (ومن هؤلاء: الخدم والعمّال الذين تحت يد المرء).

ورحمة هؤلاء من علامات الإيمان وشعبه، فالمؤمن يرحمهم لأنّه يُراقب الله فيهم، ويخشىٰ الله في التعامل معهم.

ولقد جاءت النصوص الكثيرة بفضل رحمة الضعفاء، فعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَن لا يَرْحَمْ لَا يُرْحَمْ**» متفقٌ عَلَيهِ.

ويقول - عليه الصلاة والسلام -: «**الرَّاحمونَ يرحمُهُمُ الرَّحمنُ، ارحَموا من في الأرضِ يرحَمْكم من في السَّماءِ**» رواه الترمذي.

ورحمة هؤلاء تتمثّل بالتعامل معهم كما أمر الله بألَّا يُكلفهم من العمل فوق ما يُطيقون، ويحترم إنسانيتهم، ويرحم غربتهم وبعدهم عن أهليهم وأطفالهم.

انظر للنبي ﷺ وكيف عامل خادمه أنسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عشر سنوات أحسن المعاملة وألطفها وهو صغير -ولا يخفىٰ ما يكون من الصغير من هفوات وتقصير- ولنا فيه أسوة حسنة.

يقول أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما مسستُ بيدي ديباجًا ولا حريرًا ولا شيئًا كان ألْينَ مِن كفِّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولا شممتُ رائحةً قطُّ أطيبَ من ريحِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ولقد خدمتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عشرَ سنينَ فواللَّه ما قالَ لي: أُفٍّ قطُّ، ولا قالَ لشيءٍ فعلتُهُ لمَ فعلتَ كَذا ولا لشيءٍ لم أفعلْهُ ألا فعلتَ كَذا» رواه البخاري.

وبمثل هؤلاء الضعفاء يُرزق المرء ويُبارك له في رزقه وعمره؛ رَأَىٰ سَعْد ابن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنَّ له فَضْلًا علَىٰ مَن دُونَهُ، فَقالَ له النبيُّ ﷺ: «**هلْ تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ إلَّا بضُعَفَائِكُمْ؟!**» رواه البخاري.

فهؤلاء سخرهم الله لنا، وإنّما نُرزق ونُرحم برحمتهم والإحسان إليهم.

ومن حقوق الخدم: إعطاؤهم حقوقهم المالية، وقد وُجد بيننا من يأكل حق الخدم والسائقين والعمالة، وهؤلاء علىٰ خطر عظيم، يقول ﷺ: «**قال الله تعالىٰ: ثلاثةٌ أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطىٰ بي ثم غدر، ورجل باع حرًّا فأكل ثمنه، ورجل أستأجر أجيرًا فاستوفىٰ منه ولم يعطه أجره**» رواه البخاري.

فالله خصم من يأكل حق هؤلاء الضعفاء، ومن له بمخاصمة الله طاقة؟!

وينبغي لمن أراد أن يأتي بخادم أو سائق أو عامل أن يحرص أن يكون مسلمًا، فالمسلمُ أقرب للأمانة، ولا نلتفت لمن يقول غير ذلك (ولا تُقرّب - يا عبدالله - من أبعده الله) كما أوصىٰ بذلك عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أراد أن يوكل كافرًا علىٰ عمل.

وينبغي أن نعلّمهم أحكام الإسلام، فكثير منهم جاهل لا يعلم كثيرًا من أحكامه ويبقىٰ بيننا زمنًا طويلًا علىٰ جهله، فتعليمهم من تمام الرعاية والأمانة.

اللهم ارحمنا برحمتنا لهم وأحسن إلينا بإحساننا إليهم.

الشعبة الحادية والخمسون

الإحسان إلىٰ الجار

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالإحسان إلىٰ الجار شعبةٌ من شعب الإيمان أمرت بها نصوص الوحيين، وبيّنت فضلها، وأهمية العناية بها، وهٰذا من كمال الشريعة في كل جانب، يقول الله تعالىٰ - في آية الحقوق العشرة -: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النِّساء: الآية ٣٦].

وجعل ﷺ خيرية العبد منوطة بالإحسان إلىٰ الجار، فقال: «**خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران خيرهم لجاره**» رواه الترمذي.

وجعل من علامات الإيمان: إكرام الجار، فقال ﷺ: «**مَنْ كان يُؤمن بالله واليوم الآخر، فليُكرِمْ جارَه**» رواه البخاري.

ولعظيم حق الجار صار كأنه بمنزلة الأهل الوارثين، والقرابة اللصيقين بالمرء- كل ذلك بيانٌ وإرشادٌ للعناية به - قال ﷺ: «**ما زال جبريل يُوصيني بالجار حتىٰ ظننتُ أنه سيُورِّثه**» رواه مسلم.

وللجار حقوقٌ، منها:

تفقد حاجته وسد جوعته، والعمل علىٰ كفايته: يقول - عليه الصلاة والسلام -:

«**ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلىٰ جنبه وهو يعلم به**» رواه الطبراني وصحّحه الألباني.

فتفقدوا جيرانكم فبعضُهم يمنعه عفافه من الشكاية، وبعضُهم يحول حياؤه من البوح بحاله، ولكنّ المؤمن الفَطِن هو من يُدرك ذلك ويعمل علىٰ سد حاجتهم، وكفاية عوزهم.

ولقد كانت حقوق الجار حاضرة بين الجيران في الزمن الماضي، فكان التواصل والتزاور والإعانة، ومن ذلك إهداء الطعام وإن كان يسيرًا ولكنّه قلّ وندر في زماننا وغفلنا عنه اليوم، وزهدنا في ثوابه، ففي حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يا أبا ذر، إذا طبختَ مرقةً فأكثِر ماءها - أي: إذا طبخت لحمًا فأكثر ماءه - وتعاهد جيرانك**» رواه مسلم.

ومن حقوق الجار: حفظ حُرمته وحُرمة بيته وأهله، ولقد جاء التشديد الواضح، والوعيد المؤكد في النهي عن أذية الجار، فقال ﷺ: «**واللهِ لا يُؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن**» قيل: مَن يا رسول الله؟ قال: «**الذي لا يَأمَن جارُه بوائقَه**» رواه مسلم.

فالجار حقه أن يُؤمَّن ويطمئن لجيرانه، فإذا خالف الجار هٰذا الأصل استحق العقوبة والعذاب.

ولشناعة هٰذا التعدي فقد قضىٰ الله أنّ أول خصومة يوم القيامة تكون بين الجيران، فقال ﷺ: «**أوّل خصمين يوم القيامة: جاران**» رواه أحمد وحسّنه الألباني فاعرف حق جارك وأدِّ حقوقه، واحذر من أذيته.

اللهم وفقنا لتأدية الحقوق لأهلها واجعلنا عبادًا صالحين.

الشعبة الثانية والخمسون

إطعام الطعام

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فإطعام الطعام شعبة كريمة من شعب أهل الإيمان، وخصلة من خصال أهل الجنان، وقد كانت من أوائل ما تكلم به رسولُ الله ﷺ يوم وصل المدينة - تنويهًا بفضلها، وإرشادًا لفعلها، وتنبيهًا لأهميتها - يقول الصحابي الجليل عبدالله بن سلام رضي الله عنه: لمَّا قدمَ النَّبيُّ ﷺ المدينةَ، انجَفلَ النَّاسُ قِبلَهُ، وقيلَ: قد قدمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ ثلاثًا، فَجِئْتُ في النَّاسِ لأنظرَ، فلمَّا تبيَّنتُ وجهَهُ عرفتُ أنَّ وجهَهُ ليسَ بوَجهِ كذَّابٍ، فَكانَ أوَّلُ شيءٍ سَمِعْتُهُ تَكَلَّمَ بِهِ أن قالَ: «**يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ**» رواه الترمذي.

وهي سببٌ عظيم لدخول الجنّة، قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الإنسان: ٨- ١٢].

وليعلم المرءُ أنّ الإطعام - وإن كان قليلًا - فهو في المنزلة العلية في الفضل، وقد حثّنا نبينا محمد ﷺ علىٰ هٰذا حتىٰ لا نحتقره، فقال: «**يا نِساءَ**

المُسْلِماتِ، لا تَحْقِرَنَّ جارَةٌ لِجارَتِها، ولو فِرْسِنَ شاةٍ» رواه مسلم.

الفرسن: ما يكون في ظِلف قدم الشاة من اللحم، وهو شيء يسير زهيد لا يكاد يُذكر.

فمهما كان الشيء يسيرًا في نظرك فهو بمكان عال عند غيرك والله ينمّي لك ثوابه وذلك لكرمه وسعة جوده سبحانه.

وإطعام الطعام من دلائل خيرية المسلم الحق، فعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أنّ رجلًا سأل النبي - صلىٰ الله عليه وآله وسلم -: أي الإسلام خير؟ قال: «**تُطعم الطعام، وتقرأ السلام علىٰ مَن عرَفت ومَن لم تعرف**» أخرجه البخاري.

وإطعام الطعام من أسباب رفعة الدرجات في الجنان، فعن أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «**ثلاث كفّارات وثلاث درجات، وثلاث مُنجيات وثلاث مهلكات، وفيه: وأما الدرجات، فإطعام الطعام، وإفشاء السلام، والصلاة بالليل والناس نيام**» أورده الإمام الألباني في السلسلة الصحيحة.

والنّاس في هذه الأيام - كما لا يخفىٰ - بحاجة للإطعام، فكم من بيوت يتضوَّر أهلها جوعًا، ولا يجدون ما يسد جوعتهم وجوعة أبنائهم، وبحاجة لوقفة حانية منك، فرحمتهم شعار المؤمن الحق، وإطعامهم هدي دين الإسلام الظاهر، فتعاهد أسرة أوأسرتين كل شهر بتأمين كفايتهم من الطعام والشراب ولو فعل كل فرد منّا هٰذا لشبع خلقٌ كثير.

وليستحضر من يُحسن إليهم الثواب العظيم من الله تعالىٰ لهذه الأعمال، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**أيُّما مسلمٍ كسا مسلمًا ثوبًا علىٰ عُريٍ كساه اللهُ من خُضَرِ الجنَّةِ، وأيُّما مسلمٍ أطعم مسلمًا علىٰ جوعٍ أطعمه اللهُ من ثمارِ الجنَّةِ، وأيُّما مسلمٍ سقَىٰ مسلمًا علىٰ ظمأٍ سقاه اللهُ عز وجل من الرحيقِ المختومِ**» رواه أبو داود.

اللهم اجعل قلوبنا رحيمة لإخواننا وقنا شُحّ أنفسنا.

الشعبة الثالثة والخمسون

إكرام الضيف

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فإكرام الضيف شعبةٌ من شعب الإيمان، ودليلٌ عليه، يقول رسول الله ﷺ: «**مَن كان يُؤْمن بالله واليوم الآخر فلْيُكرم ضَيْفه**» رواه البخاري ومسلم.

ولقد مدح اللهُ بهذه الخصلة أنبياءه ورسلَه، فقال في إبراهيم عليه السلام في ضيافته الملائكة: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٤- ٢٧].

وممّا مدحت به أمُّنا خديجةُ رضي الله عنها رسول الله ﷺ أوّل ما بُعث: «**إنّك لتقري الضيف..**» رواه البخاري. أي: تُكرم الضيف.

وهي خصلة منيفة، ورتبة شريفة، تُنبي عن سمو النفس، وسلامتها من الشح والبخل، ولا يزال النّاس يمدحون من تحلّىٰ بها، ولمّا جاء الإسلام - وكانت هذه الخصلة موجودة عند العرب - عزّزها وأثنىٰ علىٰ أصحابها.

ومن عُرِف بالضيافة عُرف بشرف المنزلة وعلوّ المكانة، وانقاد له قومُه؛ فما ساد أحدٌ في الجاهلية ولا في الإسلام إلا من كمال سؤدده في إطعام الطعام وإكرام الضيف، وينبغي للكريم أن يُخلص في عمله ليُؤجر عليه لا

لطلب المدح من النّاس لأنّه عمل ظاهر يحتاج لمراقبة النية.

وإكرام الضيف من حقوقه الواجبة، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**وإنّ لزورِك عليك حقًّا**» رواه الترمذي.

وقد ذكر العلماء جملةً من الآداب التي ينبغي أن يتحلَّىٰ بها المُضِيف تجاه ضيفه، **منها**:

أن يكون طلْقَ الوجه، طيِّب الحديث مع ضيفه، فمن مظاهر إكرامه الاحتفاء به، وإظهار السرور بمقدمه.

ومنها: أن يعجِّل الضيافة للضيوف ولا يتأخَّر عليهم.

ومنها: ألّا ينظر إليهم ولا يراقب أكلهم فيستحون منه؛ بل عليه أن يغضَّ بصره وينشغل بنفسه.

ومنها: ألّا يُمسك عن الطَّعام قبل الضيوف؛ بل عليه أن يجلس معهم علىٰ سفرة الطعام ويحرِّك يده بالطعام ريثما ينتهون.

ومنها: أن يقوم بخدمة ضيوفه بنفسه وهٰذا من زيادة الإكرام.

ومن الآداب استحباب الخروج مع الضيف إلىٰ الدار احتفاءً به وإظهارًا لمودته.

وقد ضعُف العمل بهذه الطاعة، وقد تكون الكلفةُ الزائدة سببًا في ذلك، فينبغي أن نسعىٰ لردها لمكانها الطبيعي في حياتنا ونبتعد عن هذه التكاليف وننشر ثقافة البساطة في الضيافة لتتقارب النفوس وتعود هذه الخصلة إلىٰ حياة الناس فيتزاورون ويُكرم بعضهم بعضًا بيسر وبدون كُلفة ظاهرة.

اللهم وفقنا لهداك واجعل عملنا في رضاك.

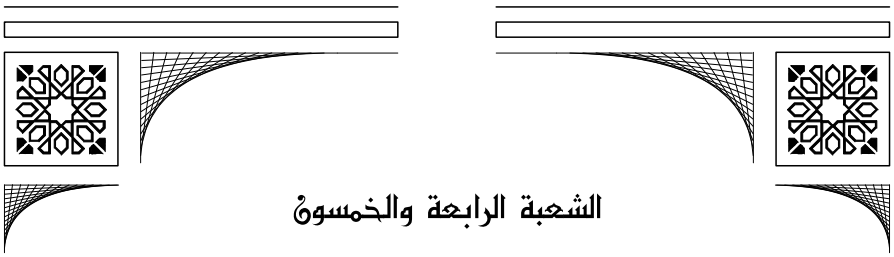

الشعبة الرابعة والخمسون

الزيارة في الله

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالزيارة في الله شعبةٌ من شعب الإيمان قلّ العملُ بها في زماننا، وزهد الكثير فيها زهدًا كبيرًا رغم ما جاء فيها من آثار ترغّب العبد بفعلها، فهنيئًا لمن أحيا مثل هذه السنن، فكم فيها من حسنات باقيات، وكم فيها من تقوية للصلة والمحبة بين المسلمين.

والزيارات في الله لها فضائل عدة، منها:

أنَها سبب لنيل محبة الله تعالىٰ، فأي فضل أعظم من هٰذا؟!

فمن سعة جوده - سبحانه - وتمام رحمته أن جعل نيل محبته بعبادات يسيرة، ومنها - الزيارة فيه والمحبة فيه - يقول ﷺ: «**قال الله تبارك وتعالىٰ: وجبت محبتي للمتحابِّين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ، والمتباذلين فيَّ**» أخرجه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

وتأمّل قوله «فيَّ» تنبيهًا لقضية الإخلاص في هذه العبادات.

وقال رسول الله ﷺ: «**إنّ رجلًا زار أخًا له في قرية أخرىٰ، فأرصد الله له علىٰ مدرجته مَلَكًا، فلما أتىٰ عليه قال: أين تريد؟ قال: أريد أخًا لي في هذه القرية، قال: هل لك عليه من نعمة ترُبُّها؟ قال: لا، غير أني أحببته في الله** ﷻ،

قال: فإني رسول الله إليك بأنّ الله قد أحبك كما أحببته فيه» رواه مسلم.

والزيارات في الله: سبب لدخول الجنة، فقد صح عنه ﷺ أنّه قال: «**من عاد مريضًا أو زار أخًا له في الله، ناداه منادٍ: أن طبتَ وطاب ممشاك، وتبوأتَ من الجنة منزلًا**» رواه البخاري في الأدب المفرد، ورواه الترمذي، وصححه الألباني.

ومن فضائل الزيارة في الله: أنّها تورث المحبة فيه، والتي هي من أسباب وجدان حلاوة الإيمان؛ كما في الحديث: «**ثلاث من كُنَّ فيه، وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار**» متفق عليه.

وقد نقل البغوي رَحِمَهُ اللَّهُ عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «**استكثروا من الأصدقاء المؤمنين؛ فإنّ لهم شفاعة يوم القيامة**».

وينبغي أن تكون الزيارة عامرة بالفوائد والنفع بين المتزاورين بالوصايا العامّة دون الإثقال والإملال وإنّما يحرص الزائر والمزور على الانتفاع بها، وأن يحرص المتزاورون على البعد عن المحرمات والغيبة والنميمة حتى لا يكون ذلك المجلس وبالًا عليهم.

وممّا عكّر مجالس الناس اليوم التشاغل الكثير بأجهزة الجوال حتى إنّه لا يكاد يدور الحديث بينهم إلا بالنزر اليسير فتنافرت القلوب وقَلَّت الرغب باللقاء.

فعودة صادقة للتزاور والتآخي وتعزيز وتقوية المحبة بيننا.

اللهم أعنّا على أداء حقوق إخوتنا وارزقنا الإخلاص في أعمالنا.

الشعبة الخامسة والخمسون

توقير الكبير

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن محاسن ديننا العظيم - ومحاسنه لا حصر لها -: توقير الكبير.

يظهر هٰذا جليًّا من توجيهات الوحيين لهذه الأمّة المرحومة، فمن اتّبعها وقام بما أمره الله به فاز فوزًا عظيمًا، ومن تجاوزها كان ظالمًا لنفسه.

وتوقير الكبير من مظاهر الخلق الإسلامي النبيل، ويظهر هٰذا جليًّا في المجتمعات المسلمة التي تقيم شرع الله تعالىٰ فيه فقد اعتنوا بهذه الفئة فنزلت الرحمات عليهم.

وكان هدي النبي ﷺ توقير الكبير، ورحمته بهم ظاهرة، وسيرته مليئة بذلك، يقول ﷺ: «**ليس منَّا من لم يوقِّر كبيرَنا، ويرحَم صغيرَنا**» رواه أحمد وصححه ابن حبان.

ومن توجيهاته العطرة أنه كان يقول: «**إنَّ مِن إجلالِ الله إكرامَ ذي الشَّيبةِ من المسلمين، وحامِلِ القرآن غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وذي السلطانِ المقسِط**» صححه الألباني.

بل جعل الإسلام للشيب قيمة عظيمة، ولأصحابه أجرًا كبيرًا، تنويهًا وتقديرًا لهم، ولإنزالهم المنزلة اللائقة بهم، فيقول ﷺ: «**ما من مسلم يشيب شيبة في**

الإسلام إلا كتب الله له بها حسنة، وحَطَّ عنه بها خطيئة» أخرجه الدارمي وصححه الألباني.

وكان ﷺ إذا تحدّث إليه اثنان بدأ بالأكبر سنًّا، ويقول للمُتحدِّث: «**كبِّر كبِّر**» أخرجه البخاري.

فهذه النصوص ونحوها تدل علىٰ عناية الإسلام بهذه الفئة وتجعل المرء يحمد الله علىٰ هذه الشريعة العظيمة التي اعتنت بكل فئة ورحمت كل طائفة.

ويعظم حق الكبير إذا كان والدًا أو قريبًا فيكون له حق الكِبر وحق القرابة، وقد أشارت الآيات لهٰذا المعنىٰ، قال الله تعالىٰ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسرَاء: الآية ٢٣].

ومن الآداب مع الكبير: التقدير والاحترام، وتقديمه في الحديث وعدم مقاطعته حتىٰ ينتهي من حديثه، والإفساح له في الطريق وفي وسائل المواصلات، وإجلاله في المجالس ووضعه في المكان اللائق به، وبدؤه بالسلام، وإظهار الفرح والسرور عند لقائه، والاحتفاء به وبمجالسته، وإظهار الأنس به، ومخاطبته بأفضل وأحب الأسماء إليه.

هذه بعض الآداب والأخلاق التي حثّت عليها الشريعة مع هذه الفئة، فتأمّلها - يا عبدالله - لتعرف عظمة دينك وتعتزّ به واعمل بها ففيها الخير الكثير.

اللهم أعنّا علىٰ بِرهم والإحسان إليهم.

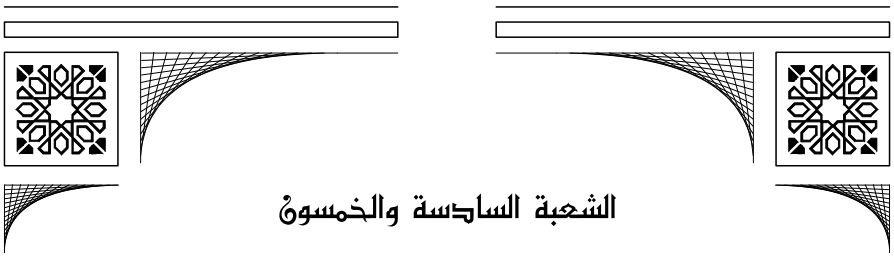

الشعبة السادسة والخمسون

العناية بالمستضعفين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فلقد قضىٰ الله أن يكون أفراد المجتمع درجات بعضهم فوق بعض وذلك مقتضىٰ الحكمة، وليبتلي العباد ببعضِهم، فمنهم الغني ومنهم الفقير، ومنهم المحتاج للرعاية والعناية ليفتح الله لعباده باب الأجور ولتحصل العبوديات المتنوّعة للأمة فلولا هٰذا التباين والاختلاف لما حصلت.

وجعل اللهُ في النّاس فئة مستضعفة تحنّ لها القلوب، وتعطف عليها النفوس المؤمنة، ومن هؤلاء: (اليتامىٰ، والأرامل، وذوي الاحتياجات الخاصة ونحوهم).

فهؤلاء يحتاجون من يمدّ لهم يد العون، فيقوم برعاية شؤونهم، وإطعام جائعهم، وقضاء حوائجهم، وقد جاءت الآثار بالترغيب بفعلها للمتاجرين مع ربهم.

يقول ﷺ: «**الساعي علىٰ الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو كالقائم الليل والصائم النهار**» وفي لفظ: «**كالقائم لا يفتر، وكالصائم لا يفطر**» أخرجه البخاري ومسلم.

فتأمّل في ثواب هٰذا العمل الجليل الذي لا يقوىٰ عليه ولا يستطيعه أحد،

فمن ذا الذي يقوم ولا يفتر، ويصوم ولا يفطر؟!

ولكن لرحمة الله بهؤلاء المستضعفين جعل هٰذا الأجر للساعي علىٰ الأرملة واليتيم، القائم علىٰ شؤونهم، الموصل المنافع لهم، حتىٰ يرغب فيه الطامع بالأجر ويسعىٰ إليه بنفس منشرحة.

واليتيم هو: الذي فقد والده صغيرًا، فحنّت عليه القلوب الرحيمة ليجازيها الله علىٰ حسن صنيعها أحسن الجزاء، ولذا بشّر رسولُ الله ﷺ كافل اليتيم له أو لغيره بأنّه رفيقه في الجنّة، فأيُّ جوار أعظم من هٰذا الجوار؟!

والأرملة: هي التي فقدت زوجها وربما كانت أمّ أيتام فاحتاجت لمن يرعاها ويعطف عليها ويقضي حوائجها، فكان جزاء من أحسن إليها أن يُحسن اللهُ إليه، فاجعل لك نصيبًا من إعانة هذه الفئة ففي إعانتهم - كما تقدّم - نيل الأجر الباقي، ومن آثارها حصول رقة القلب، وتفريج الهموم، وتنفيس الكروب.

اللهم حنّن قلوبنا عليهم وارزقنا الرأفة بهم.

الشعبة السابعة والخمسون

تلاوة القرآن

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فتلاوة القرآن العظيم من أظهر شعب أهل الإيمان الذين جعلوا كتاب الله أنيسهم وجليسهم، فأمضوا معه جُلّ أوقاتهم وأفنوا فيه أعمارهم.

والمؤمنُ يُؤمن أنّ القرآن كلام الله، وكلامه صفة من صفاته، فيحمد ربه أن أذن له بتلاوته، ويُثني عليه أن سهّل له ذلك فلذا تراه يعظّمه كما أمره، ويعتني به كما يجب.

ومن تعظيمه: تلاوته علىٰ الدوام وترك هجره.

وتلاوة الآيات فيها من الأجور ما لا يخفىٰ، فهي التجارة الرابحة والعمل المبارك، والقربة العظمىٰ لمن أراد حسن الثواب.

يقول الله سبحانه في فضل قراءة القرآن: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فَاطِر: الآية ٢٩].

والأحاديث في الحث علىٰ التلاوة لا يسع ذكرها في مقام واحد، فهي متنوّعة متعددة الفضائل، فمنها: قوله ﷺ: «**اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ**...» رواه مسلم.

وقوله ﷺ: «**الصِّيَامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعَانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..**» رواه أحمد.

وقوله ﷺ: «**يجيء صاحب القرآن يوم القيامة، فيقول: يا رب حَلِّه، فيُلبس تاج الكرامة ثم يقول: يا ربّ زده فيُلبس حُلة الكرامة، ثم يقول: يا رب ارض عنه، فيقال: اقرأ وارق ويزداد بكل آية حسنة**» رواه الترمذي.

وصاحبُ القرآن هو المصاحب له علىٰ الدوام، فيتلوه كل يوم ولا يهجره البتة.

فانظر لهٰذا الفضل الكبير وتلك الرفعة السامقة لحافظ القرآن وقارئه علىٰ الدوام.

وهدي الصحابة رضي الله عنهم في تلاوة القرآن الكريم ختمه كل أسبوع، فكان هٰذا دأبهم، وسار علىٰ نهجهم السلف الصالح، فقد وردت أخبارٌ عجيبة لهم في كثرة التلاوة والعناية بكتاب الله، فمنهم من كان يختم كل ثلاث، ومنهم من يختم كل عشرة أيام، ولعل أقل القليل أن يختم المرء القرآن كل شهر مرة بحيث يقرأ كل يوم جزءًا من كتاب ربه، فاعتنِ - يا عبدالله - بكتاب الله، وسر علىٰ ما سار عليه القوم ففي السير علىٰ دربهم الفلاح.

وكثيرٌ من المسلمين اليوم هجروا كتاب الله وآثروا كلام البشر عليه، فتجدُ أحدهم يمضي الساعات الكثيرة علىٰ وسائل التواصل، وفي المجالس الفارغة، أمّا القرآن فهو بعيد عنه، وإذا قرأه لا يعدو أن يمضي معه دقائق معدودات ثم يتركه، وهٰذا من الحرمان الكبير.

فلنعد لكتاب الله، ولنشغل به أوقاتنا، ولنُعظّمه في قلوبنا وقلوب أبنائنا فتلاوته خير زاد ليوم المعاد.

ومن تعظيم القرآن: تعلّم معانيه ومعرفة مراد الله منه، وقد أُلفت تفاسير

ميسرة تسهّل المعنىٰ وتقرّبه لعامّة المسلمين فعلىٰ المسلم أن يحرص علىٰ القراءة فيها، ويجتمع مع أهله وإخوانه للانتفاع منها.

ومن تعظيم القرآن: العمل به ونشر فضائله وبيان أهمية العناية به، فلا عزّ ولا كرامة للأمّة إلا بالعناية به.

اللهم اجعلنا من أهل القرآن الذين هم أهلك وخاصتك،
اللهم اجعلنا ممن يتلوه آناء الليل وأطراف النهار.

الشعبة الثامنة والخمسون

ذكر الله تعالىٰ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فذكرُ الله هو قوت القلوب ومنشور الولاية لأهل الإيمان ومن العلامات الدالة علىٰ عظيم إيمان صاحبها، وشدة حبه لله ﷻ، فإنّك لا تزال ترىٰ المؤمن كثير الذكر لربه لتعلق قلبه به، ولعظيم محبته له، ولأنس نفسه مع ذكره.

وهو من أكثر العبادات أجرًا، وأوسعها فضلًا، وأعظمها أثرًا، وهو عبادة جليلة شريفة لا يُحافظ عليها إلا مؤمن.

وقد تنوّعت دلالات منزلة الذكر، ما بين أمر به، وبيانٍ لفضله، وتحذيرٍ من الغفلة عنه.

واللهُ تعالىٰ أمر بالإكثار من ذكره لِما فيه من الثواب الجزيل للعبد، وزيادة الصلة بالله، فقال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ٤٣ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا ٤٤﴾ [الأحزاب: ٤١- ٤٤].

وجعل - سبحانه - ذكر العبد ربَّه سببًا لذكره في ملكوت السماء، فقال

سبحانه: ﴿فَاذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: الآية ١٥٢] فما أرفع شأن الذاكرين!

وعن أَبي هُريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «**يقُولُ اللَّه تَعالىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعهُ إِذَا ذَكَرَني، فَإن ذَكرَني في نَفْسهِ ذَكَرْتُهُ في نَفسي، وإنْ ذَكَرَني في ملإٍ ذكَرتُهُ في ملإ خَيْرٍ منْهُمْ**» متَّفقٌ عليهِ.

فتأمّل في هٰذا الشرف المنيف للذاكر وكيف فاز بذكر ربه له، ونال معية الله ورعايته بسبب هذه العبادة الجليلة.

وقد وردت أحاديث صحيحة في فضل أذكار مخصوصة ينبغي للمسلم ألَّا يُفرّط فيها لينال فضائلها وأجورها كقول: (سبحان الله وبحمده مئة مرة) قال ﷺ: «**من قال سبحان الله وبحمده مئة مرة: غُفرت ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر، ولم يأت أحد يوم القيامة بأفضل ممّا جاء به**» والحديث رواه مسلم.

وكذلك الإكثار من قول: (سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله) فالآثار في فضلها كثيرة جدًّا.

ومنها: الذكر المضاعف مثل: (سبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومِداد كلماته) ففيه من الحسنات ما لا يحصيه أحدٌ إلا الله تبارك وتعالىٰ.

وكذلك المحافظة علىٰ أذكار المناسبات، فقد ذكر المحققون من أهل العلم أنّ من حافظ علىٰ أذكار الصباح والمساء، والذكر بعد الصلاة، وأذكار النوم، وأذكار الدخول والخروج، وأذكار السفر والنزول ونحوها صار من الذاكرين الله كثيرًا الذين وعدهم الله بالمغفرة والأجر العظيم، قال الله - سبحانه -: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: الآية ٣٥].

ومن الأحاديث الجامعة في فضل ذكر الله تعالىٰ قوله - عليه الصلاة والسلام -: «**ألا أنبِّئُكُم بخيرِ أعمالِكُم، وأزكاها عندَ مليكِكُم، وأرفعِها في درجاتِكُم وخيرٌ لَكُم مِن إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ لَكُم من أن تلقَوا عدوَّكُم فتضرِبوا أعناقَهُم ويضربوا أعناقَكُم؟ قالوا: بلَىٰ. قالَ: ذِكْرُ اللَّهِ تَعالىٰ**» رواه الترمذي.

قالَ معاذُ بنُ جبلٍ: ما شَيءٌ أنجىٰ مِن عذابِ اللَّهِ من ذِكْرِ اللَّهِ.

ولكثرة النصوص في فضل ذكر الله تعالىٰ **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: (وممّا هو كالإجماع بين أهل العلم أنّ أفضل الأعمال ذكر الله).

فاحرص أيّها المسلم علىٰ ذكر الله تعالىٰ، فإنّ الشيطان لايزال ساعيًا لصرفك عن هذه العبادة لعلمه بأثرها وعظيم أجرها.

اللهم أعنا علىٰ ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، واجعلنا من الذاكرين الله كثيرًا.

الشعبة التاسعة والخمسون

طلب العلم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فطلبُ العلم شُعبةٌ من شُعب الإيمان، وهو في المنزلة العالية من الأعمال الصالحة، فقد نوّه الله ﷻ بمنزلته، وأمر نبيه ﷺ بأن يدعو ربَّه بالزيادة منه ولم يأتِ الأمر بطلب الزيادة من شيء إلا من العلم وذلك لشرفه ورفعة مكانته، فقال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طٰه: الآية ١١٤].

والعلم يرفع صاحبَه درجات في الدنيا والآخرة، قال الله تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: الآية ١١].

وانظر في تاريخ الأمّة لترىٰ رفعة العلم لأهله وكيف كان سببًا لإبقاء ذكرهم وامتداد حسناتهم إلىٰ يومنا هٰذا.

والعلم يجعل صاحبه يعبدُ الله علىٰ بصيرة، ويكون أعرف النّاس بربه وبشرعه، ولذا نفىٰ الله المساواة بين من يعلم ومن لا يعلم، فقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٩].

والعلمُ إرث الأنبياء عليهم السلام، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر.

وعندما ينصرف النّاس للدنيا ومتاعها الزائل، فاعلم يا طالب العلم أنّ الله قد خصك بالخير العظيم، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**وإنَّ العلماء**

ورثَةُ الأنبياء، وإنَّ الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، إنَّما ورَّثوا العلمَ، فمَن أخذه أخذ بحظٍّ وافِر» رواه أحمد.

وطلب العلم والحرص عليه من علامة الخير التي أرادها اللهُ بعبده، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**مَن يُرِدِ الله به خيرًا يفقِّهه في الدين**» رواه البخاري ومسلم.

وهو عبادة لا تتعلق بسنٍّ معيّن كما يظنّ البعض بل يبقىٰ المرء طالبًا للعلم حتىٰ يلقىٰ ربه، ووسائل طلبه لا تنحصر بوسيلة معيّنة خصوصًا مع انتشار وسائله هٰذا الانتشار في زماننا، فمن طلبه مجالسةً أو سماعًا أو قراءة صار داخلًا في طلب العلم، وصاحبُه سالكًا لطريقه، فائزًا بقوله ﷺ: «**ومن سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله به طريقًا للجنّة**» رواه مسلم.

فينبغي عليك - يا عبدالله - أن تحرص عليه وأن تطلبه بشغف، فإنّ له لذة يجدها الطالب في نفسه أعظم من سائر لذائذ أهل الدنيا.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا وعملًا وارزقنا الإخلاص فيهما.

الشعبة الستون

تعليم النّاس وإرشادهم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فتعليم النّاس وإرشادهم شعبةٌ تابعة لِما قبلها، فمن طلب العلم علّمه غيره، فزكاة العلم تعليمه، وكلما نشره صاحبُه نَمَا وكثر.

ومعلّم النّاس الخير يُدعىٰ عظيمًا في السماء، ويستغفر له أهل السموات والأرض شُكرًا لفعله، وتنويهًا بعمله، ورفعة له ليتأسىٰ الناس بفعله، فتعليم الناس يُزيل عنهم شرورًا كثيرة.

يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**إنّ الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتىٰ النملة في جحرها وحتىٰ الحوت في البحر ليُصلون علىٰ معلم الناس الخير**» رواه الترمذي.

ومعلّم الناس مأجور علىٰ كلِّ حسنة يعلّمها غيرَه، ولذا جعل الله هٰذا العمل من أرفع الأعمال عنده، فقال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فُصّلَت: الآية ٣٣].

ومن نظر في تاريخ الأمّة وجد أنّ أعظم أفرادها نفعًا وأكثرهم أجرًا هم علماؤها الذين لم تزل الأمّة تنهل من علمهم، وتنتفع بمؤلفاتهم، فكم استفاد المسلمون من علم الأئمة الأربعة ومن علم البخاري ومسلم وأصحاب الحديث

وشيخ الإسلام ونحوهم - رحمهم الله جميعًا -، فدل ذلك علىٰ فضل هٰذا العمل العظيم.

ومعلّم النّاس الخير لا يقتصر تعليمه علىٰ التعليم الشرعي بل تجده معلِّمًا للناس ما ينفعهم من أمور دنياهم من الأمور الصحية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية فينفع الله به إخوانه وأمّته خصوصًا مع استحضار إرادة نفع المسلمين بما يصلح لهم دنياهم وآخرتهم وهٰذا من سعة الفضل في ديننا وتعدد طرق الخير فيه.

ولكن لا شك أنّ أشرف أنواع التعليم: التعليم الشرعي الذي تقوم به عبادات النّاس.

وليس شرطًا أن يكون التعليم في المساجد بل قد يكون المرءُ معلِّمًا للخير في بيته وحيّه الذي يسكنه، ومقرّ عمله، وفي اجتماعه بأسرته، وفي كل مكان يحلّ فيه حتىٰ ينطبق عليه قول الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ. . .﴾ [مريم: الآية ٣١].

ووسائل التواصل الحديثة سبيل عظيم لتعليم الخير ليسر استخدامها وسعة انتشارها.

فكن - يا عبدالله - ذلك الرجل المبارك الذي ينفع الله به في حياته، ويبقىٰ له لسان صدق بعد مماته.

اللهم اجعلنا هداة مهديين، مباركين أينما كنّا.

الشعبة الحادية والستون

الدعاء

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فاعلم أنّ الدعاء طاعة جليلة لأهل الإيمان والتقوىٰ والصلاح، فقد عرفوا عظيم فضل ربهم وإحسانه، وسعة جوده ورحمته بهم، وأنّه هو الملك الغني الحميد، وأنّ خزائن كل شيء بيده، فتعلّقت قلوبُهم به، ووثقت أفئدتهم بعطاياه، فلم تلتفت القلوب لغيره، ولا تطلّعت النفوس لسواه.

والدعاءُ عبادةٌ أثنىٰ الله علىٰ أهلها، وجعلهم في المقام الأسنىٰ، وفي المحلِّ الأعلىٰ، وأهلها هم عباد الله حقًّا الذين استجابوا لأمره حيث رغبهم في الدعاء بقوله سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غَافر: الآية ٦٠] وهي شاملة لدعاء المسألة ودعاء العبادة.

وقد أخبرنا ربُّنا ﷻ أنّه قريب ممّن دعاه ليُكثر العبد من الدعاء، وليكون علىٰ ثقة من إجابة الله له، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي﴾ [البَقَرَة: الآية ١٨٦].

ومن نظر في كتاب الله وجد رحمته في استجابته للدعوات وتحقيق المطالب، فزكريا عليه السلام يطلب الولد عند كِبر السن فيهبه اللهُ غلامًا زكيًّا، ويونس عليه السلام في ظلمات البحر وبطن الحوت يلجأ لمولاه فيُنجّيه من هذه الكربات، وأيوب عليه السلام

وقد مسه الضر سنين طوالًا فيرفع الدعوات للرحمن فتدركه رحمته ويكشف عنه البلوىٰ ليكون آية للعالمين وليعلم الخلقُ أجمع أنّ الله قريب مجيب.

ولكرامة الدعاء علىٰ الله فإنّه لا يردّ يد عبده صفرًا إذا دعاه، فعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله قال: «**إنَّ ربَّكم تبارَكَ وتعالىٰ حيِيٌّ كريمٌ يستحيي من عبدِهِ إذا رفعَ يديهِ إليهِ أن يردَّهُما صِفرًا**» رواه أبو داود.

وأكثر الناس دعاءً أعظمهم عبودية، فتجدهم كثيري الدعاء حتىٰ وإن تأخرت مطالبهم لأنّهم يرون أنّ الدعاء عبادة بحد ذاته سواء استجاب الله لهم أو لم يستجب.

وإذا فتح الله عليك بكثرة الدعاء فافرح بهٰذا الفضل منه فإنّه لم يُلهمك إيّاه إلا ليُكرمك بالعطايا.

وتظهر في الدعاء عبوديات كثيرة من التذلل وحضور القلب ولذيذ المناجاة ما يجعل الداعي لا يحزن لتأخر مطالبه فيلزمه أكثر وأكثر.

وينبغي للداعي أن يأتي بآداب الدعاء، ومنها:

- الثناء علىٰ الله تعالىٰ، والصلاة علىٰ النبيّ ﷺ في أوله وقبل الشروع بمطالبه.

- حضور القلب عند الدعاء، وإظهار التذلُّل والحاجة لله.

- دعاء الله بأسمائه الحسنىٰ، وصفاته العُليا وأن يكون كل مطلب بما يناسب الاسم، فتقول يا رحمن ارحمني، يا رزاق ارزقني، يا عليم علمني... وهكذا.

- الدعاء بجوامع الدعاء؛ وأجمعها وأكملها ما جاء في الكتاب والسنة فاحرص علىٰ حفظها، ولك أن تدعو بحوائجك الخاصة وبجميع مطالبك.

- الدعاء في كل وقت وحين وليس فقط في أوقات الشدة والكرب.

- تخيّر الأوقات الفاضلة للدعاء كوقت السَّحَر وآخر ساعة يوم الجمعة وفي داخل الصلاة خصوصًا وقت السجود وآخر الصلاة قبل السلام.

- تكرار الدعاء ثلاثًا.

- عدم استبطاء الدعاء وتركه فهٰذا من أكبر الأخطاء.

- التزام الدعاء علىٰ الدوام، فمن لزمه نال مطلوبه، ولا تيأس من التأخر فربما تتأخر بعض الدعوات لحكمة لا يعلمها إلا الله.

اللهم ألهمنا رشدنا وحقق لنا مطالبنا واجعلنا ممّن دعاك فأجبته.

الشعبة الثانية والستون

الاستغفار

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالاستغفار عبادةُ أهل التقوىٰ، العارفين بحق ربهم، المنيبين له علىٰ الدوام، فقد آمنوا أنّ ربهم عظيم جليل، والخطأ ملازم لهم في حياتهم كلها، فاستغفروه علىٰ الدوام.

لقد أيقنوا أنّ الغالب علىٰ عباداتهم التقصير فيها وعدم أدائها كاملة، فعالجوا هٰذا بالاستغفار والإنابة.

ولقد مدح اللهُ المستغفرين في غير ما آية من كتابه، وأثنىٰ عليهم بهذه العبادة، وبيّن أنّه من صفات المتقين، فقال ﷻ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

وتأمّل رحمة الله لمن عمل سوءًا أو ظلم نفسه بالذنوب والمعاصي ثم استغفر ربه كيف يجدُّ ربَّه غفورًا رحيمًا، يغفر الذنبَ، ويُقيل العثرة، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

واعلم - أيّها المستغفر - أنّ كثرة الاستغفار من موجبات رحمته تعالىٰ، قال جل وعلا: ﴿لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النَّمل: الآية ٤٦].

وهو سبب عظيم لرفع العذاب عن الأمّة أفرادًا وجماعات، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفَال: الآية ٣٣].

وسببٌ لنزول البركات، وتتابع الخيرات، والفوز بالحياة الطيبة المباركة، قال تعالىٰ عن - نوح عليه السلام -: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠- ١٢].

والاستغفار سنة الأنبياء والمرسلين، فقد أبانت آياتٌ كثيرةٌ كثرة استغفارهم وصدق إنابتهم لربهم ممّا يدل علىٰ فضله وحاجة ابن آدم له مهما علت منزلته.

ففي الحديث يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**إنه ليُغان علىٰ قلبي، وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة**» رواه مسلم.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: ما رأيتُ أحدًا أكثر استغفارًا من رسول الله ﷺ.

ورغّبنا - عليه الصلاة والسلام - أن نُكثر من الاستغفار، فقال: «**من أحب أن تسره صحيفته؛ فليكثر فيها من الاستغفار**» رواه الطبراني وحسّنه الألباني.

يقول أبو المنهال - وهو أحد علماء السلف -:

ما جاور عبدٌ في قبره من جارٍ خير من استغفار كثير.

والاستغفار أنواع متعدّدة فمن أشرفها - سيد الاستغفار - فعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سيد الاستغفار أن تقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا علىٰ عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه**

لا يغفر الذنوب إلا أنت؛ من قالها من النهار موقنًا بها فمات من يومه قبل أن يُمسي فهو من أهل الجنة، من قالها من الليل وهو موقنٌ بها فمات قبل أن يُصبح فهو من أهل الجنة» رواه البخاري.

وقال ﷺ: «**من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه غُفر له وإن كان فر من الزحف**» رواه أبو داود.

فهٰذا هو الاستغفار، وهٰذا فضله، فاحرص أن تكون من أهله علىٰ الدوام، خصوصًا إذا ألممت بذنب، أو جاءك داعي الشيطان ليغويك أو يُضلك.

اللهم اجعلنا من عبادك المستغفرين التائبين.

الشعبةُ الثالثة والستون

كثرةُ الصلاة على النبي ﷺ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين **وبعد**:

فكثرةُ الصلاة على النبي ﷺ شعبةٌ جليلةٌ من شعب الإيمان، وخَصلة شريفة تدل على حبِّ صاحبها لنبيه ﷺ، فإنّ من أحبَّ أحدًا أكثر من ذكره.

ولقد رغّبنا ربُّنا فيها بأسلوب مشوِّق وذلك بالإخبار أولًا عن صلاته وملائكته على نبيه ﷺ ثمّ الأمر بها، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٦].

والصلاة من الله عليه معناها: ثناؤه عليه في الملأ الأعلى. اختاره ابن القيم.

وقيل معناها: تبريكاته سبحانه على عبده.

وقيل معناها: الرحمة المقرونة بالتعظيم. قاله ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وللصلاة والسلام على النبي - عليه الصلاة والسلام - فضائل جمّة، منها ما جاء في قوله ﷺ: «**أتاني آت من عند ربي** عَزَّ وَجَلَّ **فقال: من صلى عليك من أمتك صلاةً كَتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها**» رواه أحمد وحسّنه الألباني.

وفي رواية: «**إنّ لله - تعالى - مَلَكًا أعطاه الله سمع العباد، فليس من أحد**

يُصلي عليّ إلا أبلَغَنيها، وإني سألتُ ربي ألا يصلي عليّ عبدٌ صلاةً إلا صلىٰ الله عليه عشر أمثالها» رواه الطبراني وحسّنه الألباني.

والأحاديث في هٰذا الباب كثيرة.

والصلاة والسلام عليه مستحبة في كلِّ وقت، ويتأكد استحبابها في مواضع، منها:

- وهي أهمها وآكدها في التشهد الأخير وهي الصلاة الإبراهيمية المشهورة؛ وهي ركن من أركان الصلاة في مذهب الحنابلة - رحمهم الله -.

- **ومن المواطن المستحبة لها**: بعد إجابة المؤذن عند نهاية الأذان.

- **ومنها**: الصلاة عليه ﷺ في أوّل الدعاء وآخره.

- **ومنها**: الصلاة عليه عند الهمّ والشدائد وعند طلب المغفرة؛ قَالَ أُبَيُّ ابن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي أُكثِرُ الصَّلاةَ عَلَيكَ فَكَم أَجعَلُ لَكَ مِن صَلاتِي فَقَالَ: «**مَا شِئتَ**» قَالَ: قُلتُ الرُّبُعَ قَالَ: «**مَا شِئتَ، فَإِن زِدتَ فَهُوَ خَيرٌ لَكَ**» قُلتُ: النِّصفَ قَالَ: «**مَا شِئتَ، فَإِن زِدتَ فَهُوَ خَيرٌ لَكَ**» قَالَ: قُلتُ: فَالثُّلُثَينِ، قَالَ: «**مَا شِئتَ، فَإِن زِدتَ فَهُو خَيرٌ لَكَ**» قُلت: أَجعَلُ لَكَ صَلاتِي كُلَّهَا قَالَ: «**إِذن تُكفَىٰ هَمَّكَ وَيُغفَرُ لَكَ ذنبك**» رواه الترمذي وحسّنه الألباني.

- **ومنها**: عند اجتماع القوم وقبل تفرقهم؛ قال - عليه الصلاة والسلام -: «**أيّما قوم جلسوا فأطالوا الجلوس ثمّ تفرقوا قبل أن يذكروا الله تعالىٰ أو يصلوا علىٰ نبيه كانت عليهم ترة (يعني حسرة) من الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم**» رواه الحاكم وصححه الألباني.

- **ومن المواطن المتأكدة للصلاة علىٰ النبي**: عند دخول المسجد وعند الخروج منه.

- **ومنها**: الصلاة عليه مع أذكار الصباح والمساء؛ قال - عليه الصلاة والسلام -: «**من صلىٰ عليّ حين يصبح عشرًا وحين يمسي عشرًا أدركته شفاعتي يوم القيامة**» رواه الطبراني وحسّنه بعض أهل العلم.

- **ومنها**: الصلاة عليه يوم الجمعة؛ قال - عليه الصلاة والسلام -: «**أكثروا الصلاة عليّ في يوم الجمعة، فإنه ليس يصلي عليّ أحد يوم الجمعة إلا عُرضت عليّ صلاته**» رواه البيهقي وصححه الألباني.

وينبغي للمصلي علىٰ النبي ﷺ أن يكون حاضر القلب عند صلاته عليه، مستحضرًا مكانته وجلالة قدره وعظيم منزلته، ومتذكرًا فضله عليه، ورفعة منزلته بشفاعته لأمته عند رب العالمين وغيرها من الفضائل، فمع هذه الأمور ونحوها يكون القلب حاضرًا عند الصلاة عليه.

فاللهم صلِّ وسلم علىٰ نبينا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين واجمعنا به في أعلىٰ عليين.

الشعبة الرابعة والستون

طاعةُ ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فطاعةُ ولاة الأمر في غير معصية الله من أظهر شعب الإيمان لأهل المذهب الحق (أهل السنة والجماعة) بخلاف أصحاب المذاهب الباطلة الذين يُخالفون ويتمردون علىٰ هٰذا الأصل، ويُحرفون بعقولهم الفاسدة النصوص الدالة علىٰ هٰذا الأصل العظيم.

ووجود ولي أمر بين الناس يطيعونه ولا يشقون له عصا الطاعة، ويتجنبون الخروج عليه هو مقتضىٰ النص الصريح والعقل الصحيح، وهو من أعظم أسباب الحياة الطيبة المستقرة، فلقد اقتضت سُنّة الله في خلقه أنه لا يصلح حالهم ولا تستقيم حياتهم إلا في ظل وجود من يسوسهم، فيُنظّم لهم شؤونهم، ويحفظ لهم حقوقهم.

يقيم فيهم العدل، ويمنع الفوضىٰ بينهم، فيأمن في وجوده الخائف، ويرتدع الظالم، وتُصان الأعراض، وتُعصم الدماء، وتُقام معه الحدود، وتُحفظ معه شعائر الدين، وهٰذا من أعظم الأمور في حياة المجتمعات والشعوب.

فطاعة ولي أمر المسلمين صلاح لدنيا الناس وآخرتهم، وعقيدة دينية يدين بها المسلم لربه.

والنصوص الدالةُ علىٰ هٰذا الأصل كثيرة، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النّساء: الآية ٥٩].

وعن جُنَادَة بن أبي أُمَيَّةَ السَّدُوسِي قال: «دَخَلْنا علَىٰ عُبادَةَ بنِ الصَّامِتِ، وهو مَرِيضٌ، قُلْنا: أصْلَحَكَ اللَّهُ، حَدِّثْ بحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ به، سَمِعْتَهُ مِنَ النبيِّ ﷺ، قالَ: دَعانا النبيُّ ﷺ فَبايَعْناهُ، فقالَ فِيما أخَذَ عَلَيْنا: أنْ بايَعَنا علَىٰ السَّمْعِ والطَّاعَةِ في مَنْشَطِنا ومَكْرَهِنا وعُسْرِنا ويُسْرِنا وأَثَرَةً عَلَيْنا، وألَّا نُنازِعَ الأمْرَ أهْلَهُ إلَّا أنْ تَرَوْا كُفْرًا بَواحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فيه بُرْهانٌ» رواه البخاري.

ويحرم الخروج علىٰ ولي الأمر لحرمة ذلك شرعًا وللمفاسد التي تحصل عند الخروج عليه، قال ﷺ: «**من خلع يدًا من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية**» رواه مسلم.

وقال ﷺ: «**من رأىٰ من أميره شيئًا يكرهه فليصبر فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات مات ميتة جاهلية**» رواه البخاري ومسلم.

فطاعة ولاة الأمر أمر له أهمية عظمىٰ، ولزوم غرزهم من دلالة الاستجابة التامّة لنصوص الشريعة الغرّاء، وكما تجب طاعة ولاة الأمور فيجب النصح لهم، وإظهار محاسنهم، والدعاء لهم في ظهر الغيب، ويحرم الكلام فيهم بما يوقع بُغضهم في القلوب أو ينفّر عنهم.

اللهم احفظ ولاة أمورنا وسددهم، وألف بين قلوب الراعي والرعية وأصلح ذات بينهم إنك جواد كريم.

فصلٌ
في لزوم جماعة المسلمين

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فلزوم جماعة المسلمين أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة، وشعبة من شعب أهل الإيمان التي يتحلّون بها.

وقد جاءت نصوص الشريعة الكثيرة بوجوب لزوم الجماعة وعدم مخالفتها لِما في لزومها من خيرات ومصالح ولِما في الخروج والبعد عن هٰذا الأصل من ويلات ومفاسد، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٣].

وقال - سبحانه -: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعَام: الآية ١٥٩].

وعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أراد بحبوحة الجنة فعليه بالجماعة فإنّ الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد**» رواه الترمذي.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من خرج عن الجماعة ومات، فميتته جاهلية**» رواه أحمد.

وعن عرفجة الأشجعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أتاكم وأمركم**

جميع علىٰ رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق كلمتكم فاقتلوه» رواه مسلم.

وقد خرجت جماعاتٌ ضالة في زماننا علىٰ جماعة المسلمين ضاربة بنصوص الشرع من الكتاب والسنة عُرض الحائط وما ذاك إلا لجهلهم واتباعهم الأهواء، فجرّ خروجهم مفاسد كثيرة علىٰ البلاد والعباد، وهكذا شأن كل من خالف أمر الله وأمر رسوله ﷺ فإنّه يفسد في المجتمع أيّما فساد، فينبغي التحذير منهم، والأخذ علىٰ أيديهم، فمصالح الاجتماع لا تدانيها مصلحة، والبعد عن سفاهة السفهاء من الأغرار والجهلة سبيل المؤمن وهو طريق الخير والرشاد للأفراد والمجتمعات.

اللهم احفظ لنا اجتماعنا وأبعد عنّا كل فُرقة.

الشعبة الخامسة والستون

الإصلاح بين الناس

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالإصلاح بين الناس من شعب أهل الإيمان، ومن صفات الكُمّل من أهل الإسلام، فقد جاء في فضلها الكثير من نصوص الكتاب والسُّنة، يقولُ ربنا سبحانه: ﴿۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النِّساء: الآية ١١٤].

ولرحمة الله بعباده فقد أمر بالإصلاح بين الناس ليبقىٰ أفراد المجتمع متماسكين، وأهله متحابين، فقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ﴾ [الحُجرات: الآية ١٠].

وأخرج الإمام أحمد والترمذي عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ - صلىٰ الله عليه وآله وسلم -: «**أَلَا أَدُلُّكُم علىٰ أَفْضَلَ من درجةِ الصلاةِ والصيامِ والصدقةِ؟**» قالوا: بلىٰ يا رسولَ اللهِ. قال: «**إصلاحُ ذاتِ البَيْنِ، فإنَّ فسادَ ذاتِ البَيْنِ هي الحالِقَةُ، لا أقولُ: إنها تَحْلِقُ الشَّعْرَ ولكن تَحْلِقُ الدِّينَ**» رواه أبو دواد.

وقال ﷺ لأبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**ألا أدلك علىٰ تجارة؟**» قال: بلىٰ يا رسول الله. قال: «**تسعىٰ في الإصلاح بين الناس إذا تفاسدوا، وتقارب بينهم إذا تباعدوا**» أخرجه البزّار في مسنده، وهو في صحيح الترغيب والترهيب.

ومع كثرة الأحاديث الواردة في فضل الإصلاح بين الناس إلا أنّه لا يقوم به إلا الندرة من الناس، بل ربما كانت الخصومة بين أخوين فلا يسعىٰ الأخ الثالث أو القريب العارف بهذه الخصومة للإصلاح، فلا بد من إيقاظ الهمم للقيام بهٰذا العمل الجليل.

والإصلاح بين النّاس يحتاج فقهًا وصبرًا وعدم يأس، فربما بذل المصلحُ مجهودًا للإصلاح فيفشل مرة ومرتين فعليه ألَّا ييأس، وأن ينظر إلىٰ الأوقات المناسبة لتقريب القلوب كالمناسبات ونحوها.

ولأهمية الإصلاح بين الناس أجازت الشريعة الكذب في هٰذا الشأن حرصًا علىٰ رأب الصدع بين أفراد المجتمع.

والخصومة والنزاع في حقيقته إنّما هي من سعي الشيطان وكيدِه، لأنّ همّه زرع الأحقاد بين المؤمنين، ونشر الخلافات والنزاعات بين الناس، ففي صحيح مسلم عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ**» رواه مسلم.

فليحذر العبد من هجر إخوانه - خصوصًا قرابته - وليوقن أنّ شؤم هٰذا العمل ربما يمتدّ للأجيال من الأبناء والأحفاد بسببه فيبوء بالإثم الكبير.

والمتهاجرون علىٰ خطر عظيم خصوصًا إذا كان الهجر لغير سبب شرعي، واستمر مددًا طويلة، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**تُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس، فيغفر الله ﷻ في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئًا إلا امرؤٌ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقول جل شأنه: اتركوا هذين حتىٰ يصطلحا**» رواه مالك ومسلم، واللفظ له.

اللهم اهدنا لأحسن الاخلاق والأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت.

الشعبة السادسة والستون

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي شعبةٌ الخُلّص من عباد الله المتقين، والأصفياء من المؤمنين، فمن قام بها قام مقام الأنبياء عليهم السلام، فقد كانوا آمرين بالمعروف، ناهين عن المنكر، حافظين لحدود الله.

فها هو نبينا الكريم ﷺ يذكره الله بهذه الصفة وينوّه أنّه مذكورًا بها في الكتب السابقة إجلالًا لها، فيقول سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ...﴾ [الأعراف: ١٥٦].

وقد أمر الله بها ورتّب عليها حسن العاقبة، فقال سبحانه: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٠٤].

فمن تحلّىٰ بها نجا، ومن عمِل بها فاز فوزًا عظيمًا.

وهي من أبرز صفات المؤمنين، التي وعدهم اللهُ عليها الأجر العظيم، فقال سبحانه: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ

﴿ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ [التوبة: الآية ٧١].

وجعلها نبينا محمد ﷺ سمة بارزة لأتباعه الحقيقيين من أمته، وخصلة متميزة للأصفياء من أتباعه، فعن دُرّة بنت أبي لهب رضي الله عنها قالت قام رجل إلىٰ النبي ﷺ وهو علىٰ المنبر، فقال يا رسول الله أي الناس خير؟ فقال: «**خير الناس أقرؤهم وأتقاهم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وأوصلهم للرحم**» أخرجه أحمد وإسناده حسن.

وينبغي للآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر أن يتحلىٰ بآداب، منها:

- أن يكون مُخلِصًا في أمره ونهيه يبتغي بذلك وجه الله، وقصده تغيير المنكر، والرحمة بالمنصوح.

- أن يكون هيّنًا ليّنًا في أمره ونهيه، فقد بعث الله أشرف خلقه في زمانه - موسىٰ عليه السلام - إلىٰ أعتىٰ الخلق في وقته - فرعون لعنه الله - ومع ذلك قال له: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: الآية ٤٤].

- أن يكون صبورًا حليمًا، فلا بد للآمر أن يجد أذىٰ ممّن يأمره وينهاه.

- أن يكون عالمًا بما ينهىٰ عنه ويأمر به.

- ألَّا ينتصر لنفسه إذا رُفض نُصحُه حتىٰ لا يقع في المحذور.

- ألَّا ييأس من النصح والتذكير، فقد ذكر الله لنا صبر الأنبياء عليهم السلام علىٰ أممهم وكيف استمروا سنوات طويلة لا يملّون من دعوتهم ونصحهم لنتأسىٰ بهم.

وبعض النّاس ربما يُحجِمُ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم سلامته السلامة الكاملة من الذنوب ولهٰذا خطأ بيّن، فلا يلزم أن يكون المرء سالمًا منها حتىٰ يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر وإلا لما أمر أحد ولا نهىٰ

لتعذر سلامة المرء السلامة الكاملة، بل لعل أمره هٰذا ونهيه يكون سببًا لصلاح حاله.

اللهم وفقنا للقيام بهذه الشعيرة العظيمة واجعلنا هداة مهديين.

الشعبةُ السابعة والستون

الجهاد في سبيل الله

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن شعب الإيمان: الجهاد في سبيل الله.

وقد ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة والإجماع.

قال الله سبحانه: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾﴾ [النّساء: الآية ٩٥].

فبيّنت هذه الآيات منزلة المجاهدين في سبيل الله، وأنّهم في الدرجات العلا من الجنة، ونفت المساواة بين القاعد والمجاهد لجلالة عمله ورفعة منزلته عند الله.

والجهاد أعظم تجارة يُتاجر بها العبدُ مع ربه، قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠- ١٣].

وهو ذِروة سنام الإسلام بنص حديث رسول الله ﷺ، ومن أفضل الأعمال

بعد الإيمان بالله ورسوله، روىٰ البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنّ النبي ﷺ سُئل: أي العمل أفضل؟ قال: «**إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»، قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «**حَجٌّ مَبْرُورٌ**».

والجهاد أربعة أنواع:

جهاد النفس في طاعة الله والبعد عن معصيته.

جهاد العدو المعلِن عداوته.

جهاد المنافقين بالحجج والبراهين.

جهاد الشيطان.

وكل جهاد من هذه الأنواع يحتاج إلىٰ فقه ومعرفة وبصيرة حتىٰ يعرف المؤمن كيف يغلب أعداءَه القريبين منه كالنفس والشيطان، والبعيدين منه سواءً المعلنين العداوة كالكفّار ظاهري العداوة أوالمستخفين كالمنافقين.

ولأنّ جهاد الأعداء هو الأكثر شهرة فمعرفة أحكامه من الأهمية بمكان فإنّ له ضوابطه الشرعية التي قررها علماء الإسلام والتي من أهمها أن يكون تحت راية ولي الأمر وتحت إمرته لا الجهاد الفردي الذي يقوم به أفرادٌ من الأمة فيفسدون ولا يُصلحون.

ولا يعني وجود أخطاء في هذه الشعيرة في بعض الأزمنة أو عند بعض المسلمين أن يُنادىٰ بإلغائه - والعياذ بالله - فهٰذا من الجراءَة الكبرىٰ علىٰ دين الله مع وجود النصوص الظاهرة الدالة علىٰ فضله وأهميته ومشروعيته، بل حال من يريد إلغاءَه كحال من يريد إلغاء الصلاة أو نحوها من العبادات لوجود أخطاء عند بعض العبّاد.

ومن تأمّل في تاريخ الأمّة عرف كيف جاهد رسولُ الله ﷺ وأصحابُه - رضوان الله عليهم - في نشر دين الله وتبعه علىٰ ذلك خلفاؤُه الراشدون وأئمةُ المسلمين من بعدهم حتىٰ وصل الإسلام إلىٰ مشارق الأرض ومغاربها، فكان الجهاد والفتح الإسلامي من أعظم الأسباب في دخول هذه البلاد دين الله العظيم وإنقاذهم من النّار لأنّ مقصود الجهاد الأعظم هو: دخول الناس في الإسلام ليفوزوا بالجنة وينجوا من النار، ولذا علّم النبي ﷺ أمته أن يبدءوا جهاد الكفّار بدعوتهم للإسلام - وهٰذا من الرحمة بهم - لأنّ الإسلام دين الله الذي ارتضاه لعباده ولا يقبل يوم القيامة دينًا سواه، فإن رفضوا فُرضت عليهم الجزية التي مقصودها حمايتهم وليشاهدوا تعاليم الإسلام - وغالبًا ما تكون سببًا في إسلامهم والتاريخ خير شاهد علىٰ هٰذا - ثم بعد ذلك يُصار إلىٰ قتالهم حتىٰ لا يكونوا صادين غيرهم عن الدخول في الإسلام الذي به ينال الخلق رحمة الدارين.

اللهم فقهنا في ديننا وبصّرنا في أحكامه.

الشعبة الثامنة والستون

الهجرة والفرار من الفتن

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن شُعب الإيمان: الهجرةُ والفرار بالدين من الفتن، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**يُوْشِكُ أَنْ يَكُوْنَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ**» رواه البخاري.

ولعالمية دين الإسلام وانتشاره في أقطار الأرض فإنّ أحكامه عامة وشاملة، ففي بعض البلاد الكافرة قد يكون المسلم مضطرًا للفرار بدينه لأنّه لا يستطيع إقامة الشعائر الظاهرة للإسلام أو خوفًا علىٰ نفسه وذريته من الفتن ليحفظ دينه ودين أولاده وذريته من بعده فتكون حينئذٍ هجرته واجبة، وقد يكون بقاؤه أنفع لنشر الإسلام - كما هو مشَاهد وواقع - ولهٰذا الأمر أحكامه المذكورة في مظانها.

وقد رُتب علىٰ هذه الهجرة الأجور العظيمة، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا فُتِنُواْ ثُمَّ جَٰهَدُواْ وَصَبَرُوٓاْ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعۡدِهَا لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١١٠﴾﴾ [النّحل: الآية ١١٠].

وينبغي للمسلم أن يكون مؤتَمِرًا بأمر الشرع في شأن الهجرة، فلا يقسّم البلدان كيف شاء ويقرر كما أراد علىٰ حسب فهمه القاصر بل عليه الرجوع لأهل العلم الثقات فيما يُشكل عليه ليُصدر عن رأيهم.

ومن الفرار بالدين: الفرار من مجالس السوء التي يُعصىٰ الله تعالىٰ فيها أوتُنتهك فيه حرماتُه، فيجب مفارقة هذه المجالس قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: الآية ٦٨].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ﴾ [النّساء: ١٤٠].

ومن الفرار بالدين: الفرار من المواقع المليئة بالشبهات والشهوات التي تبث الشبهات في مسلّمات الدين وهي كثيرة جدًّا حتىٰ أنّها تظهر للإنسان أثناء تصفحه من غير أن يطلبها، فيجب الحذر منها ولا يغترّ المرء بنفسه فيدخلها ويتابعها ويشاهدها، ففيها من الخطورة ما لا يخفىٰ، فكم من إنسان ضل وانحرف بل ربما كفر بسببها أو سكنت في نفسه شبهة ولم يستطع التخلّص منها فحذار حذار ممّا يُعرض فيها.

اللهم احفظنا بحفظك واكلأنا برعايتك.

الشعبة التاسعة والستون

أداء الأمانة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فأداء الأمانة من شعائر أهل الإيمان، وسمة بارزة للأتقياء، بل هي صفة ثابتة من صفات الأنبياء، وخلُقٌ مِن أخلاقهم الراسخة، فكل نبي من الأنبياء كان يقول لقومه: ﴿إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١٠٧].

وجعلها الله من صفات عبادِه المؤمنين المفلحين، فقال سبحانه في وصفهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٨].

والأمانةُ مفهومها واسع جدًّا تشمل: الأمانة في العبادات الشرعية فمن أدَّاها فله الثواب ومن ضيَّعها فقد استحق من الله العقاب، فقد روىٰ أحمد والبيهقي عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (الصلاةُ أمانة، والوضوءُ أمانة، والوزن أمانةٌ، والكيل أمانة، وأشياء عدّدها - وأشدُّ ذلك الودائع-).

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (والغُسْل من الجنابة أمانة).

ومن أنواع الأمانة: الأمانة في المعاملات العامة والخاصة وحفظ الأسرار التي يُؤتمن عليها المرء.

ويُقابل الأمانة الخيانة وهي من صفات وعلامات المنافقين، فعن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا**

اؤْتُمِنَ خَانَ» رواه البخاري ومسلم.

ومن الأمانات العظيمة: حفظُ الأسرار الزوجية وما يكون بين الزوجين من علاقات، فأشدُّ أنواع الخيانات ما يكون في هٰذا الشأن من هتك لهذه الأسرار وذكر ما يحصل بين الرجل وزوجته، فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من أشرِّ الناس عند الله منزلةً يوم القيامة، الرجل يفضي إلىٰ امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرَّها**» رواه مسلم.

ومن الأمانات: حفظ أسرار المجالس، فعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبي ﷺ، قال: «**إذا حدَّث الرجلُ بالحديث ثم التفت فهي أمانة**» رواه أبو داود والترمذي.

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**المجالس بالأمانة إلّا ثلاثة مجالس: سفك دمٍ حرامٍ، أو فرجٌ حرام، أو اقتطاع مالٍ بغير حق**» رواه أبو داود.

والأمانةُ خصلة إذا تحلىٰ بها المرء فلا عليه ما فاته من دنياه لأنّ بحفظها يكون قد حاز خيرًا عظيمًا، فعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**أربعٌ إذا كنَّ فيك فلا يضرَّنَّك ما فاتك مِن الدُّنْيا: صِدْق حديث، وحِفْظ أمانة، وحُسْن خليقة، وعفَّة طُعْمة**» رواه أحمد، وهو حديث حسن.

قال أبو بكر الصِّديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أصدق الصِّدق الأمَانَة، وأكذب الكذب الخيانة).

ولنفاستها وعظيم منزلتها فإنّها أول ما يُرفع في هذه الأمّة، قال أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (أوَّل ما يرفع مِن هذه الأمَّة الحياء والأمَانَة، فسلوها الله).

فامتثلها يا عبدالله، واجعلها صفة راسخة لك، ولئن كان الأمر يحتاج إلىٰ مجاهدة فإن ما ورد فيها من فضائل تجعل الصادق حريصًا علىٰ التحلي بها.

اللهم وفقنا لهذه الصفة واجعلنا من أهلها.

الشعبةُ السبعون

حفظ اللسان

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فحفظ اللسان شعبة عزيزة المنال، كريمة المدح، حسنة العاقبة.

جاء التنويه بفضلها في نصوص كثيرة، ومتىٰ ما تحلىٰ بها المرء عُدّ من الخُلّص من العُبّاد، ومن استطاع حفظ لسانه فقد ملك أمر نفسه وسلم من تبعات كثيرة له، وحفظه لا يقوىٰ عليه إلا من راقب الله وعرف شدة خطره.

ومن النصوص الدالة علىٰ أهمية العناية باللسان قول المصطفىٰ ﷺ: «**مَن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت**» رواه البخاري ومسلم.

وصلاحُ اللسان وفساده له الأثر الكبير في سائر الجوارح فهو القائد لها، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**إذا أصبح ابنُ آدم فإنَّ الأعضاء كلَّها تُكفِّر اللسان - أي تخضع له - فتقول: اتَّقِ الله فينا فإنما نحن بك؛ فإنِ استقمتَ استقمنا، وإنِ اعوججتَ اعوججنا**» رواه الترمذي.

وحفظُ اللسان له أهميته الكبرىٰ، فقد يتكلم العبد كلمة واحدة سيئة فتهدم له جبالًا من الحسنات بل ربما تُحبط عمله الصالح كله، فاحذر من الاستهانة بخطره، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ**

اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ» رواه البخاري.

ولمّا وعظ رجلٌ أخاه فلم يتعظ فقال غَيْرة لله: وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلان؛ أَحبَط الله عمله الصالح بهذه الكلمة، فكان سبب هلاكه عدم حفظ لسانه، فعَنْ جُنْدَب بن عبدالله البَجَلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَ: «**أَنَّ رَجُلًا قَالَ: وَاللَّهِ لا يَغْفِرُ اللَّهُ لِفُلانٍ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ ذَا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ عَلَيَّ أَلَّا أَغْفِرَ لِفُلانٍ؟ فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِفُلانٍ وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ**» رواه مسلم.

ومعنىٰ «**يتألَّىٰ عليَّ**» أي: يُقْسِم عليَّ.

فالله الله في حفظ اللسان، فهو السبيل الأعظم للنجاة، ففي حديث عقبة ابن عامر الجهني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ ما النَّجاةُ؟ قال: «**أمسِكْ عليْكَ لسانَكَ، وليسعْكَ بيتُكَ، وابْكِ علىٰ خطيئتِكَ**» رواه الترمذي.

ومهالك اللسان كثيرة؛ منها: الغيبة والنميمة والكذب والبهتان وشهادة الزور والسبّ واللعن ونحوها من معايب اللسان ومثالبه فاحذرها كلها.

اللهم أعنا علىٰ حفظ ألسنتنا، واجعلها مشغولة بذكرك وبما ينفعنا.

الشعبة الحادية والسبعون

إفشاء السلام ورده

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فإفشاء السلام ورده من أعمال أهل الإيمان، ومن صفات أهل الإسلام، والسلام هو التحية التي حيّا بها آدمُ عليه السلام الملائكة فكانت هي أول ما سمع منهم فدلّ ذلك علىٰ فضلها ورفعة شأنها، فقد روىٰ البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ عَلَىٰ صُورَتِهِ طُولُهُ سِتُّونَ ذِرَاعًا فَلَمَّا خَلَقَهُ قَالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولَئِكَ النَّفَرِ مِنْ الْمَلائِكَةِ جُلُوسٌ فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيَّتِكَ فَقَالَ: السَّلامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ فَزَادُوهُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ**».

ويستهين كثير من المسلمين بفضل هذه الشعيرة ولا يرون أنّها بالمكان العالي في الشريعة فترىٰ الزهد فيها ظاهرًا إلا أنّه من نظر إلىٰ النصوص عرف فضلها ومكانتها، فهي من شعائر الخيرية للمسلم، فعن عبد الله بن عمر: أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير؟ قال: «**تُطعم الطعام، وتَقرأ السلام علىٰ من عرفت ومن لم تعرف**» رواه البخاري ومسلم.

والسلام لا يكون للخاصة فقط - كما هو الواقع - بل يكون عامًّا كما أرشد التوجيه النبوي في الحديث السابق.

والحث علىٰ إفشاء السلام من أوائل العبادات التي حثّ وأرشد إليها رسول

الله ﷺ أوّل ما وصل المدينة، فعن عبدالله بن سلام قال: لمَّا قدمَ النَّبيُّ ﷺ المدينةَ انجَفلَ النَّاسُ قِبلَهُ وقيلَ: قد قدمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ، قد قدمَ رسولُ اللَّهِ ثلاثًا، فَجِئْتُ في النَّاسِ لأنظرَ فلمَّا تبيَّنتُ وجهَهُ عرفتُ أنَّ وجهَهُ ليسَ بوَجهِ كذَّابٍ فَكانَ أوَّلُ شيءٍ سَمِعْتُهُ تكَلَّمَ بِهِ أن قالَ: «**يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، وأطعِموا الطَّعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ**» رواه ابن ماجه.

وإفشاء السلام من الأسباب العظمىٰ للمحبة بين المؤمنين والتي هي طريق دخول الجنّة، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تدخُلوا الجنَّة حتىٰ تُؤمِنوا، ولا تُؤمِنوا حتىٰ تحابُّوا، أوَلا أدلُّكم علىٰ شيءٍ إذا فعلتُموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم**» رواه مسلم.

والسلام ينبغي نشره وإفشاؤه في كل مكان كما جاء في الأحاديث السابقة، ويُتأكد عند دخول المجامع والمجالس وعند دخول البيوت وهٰذا ما نغفل عنه، فيدخل أحدُنا بيته ولا يُسلم علىٰ أهله، فيحرم نفسه الخير والأمن والسكينة، ففي الحديث يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**ثلاثةٌ كلُّهم ضامن علىٰ الله** ﷻ: - وذكر منهم - **ورجلٌ دخل بيته بسلامٍ فهو ضامنٌ علىٰ الله** ﷻ» رواه أبو داود.

ومعنىٰ ضامن: أي في حفظ الله ورعايته.

ومن الأخطاء في باب السلام أن يظنّ المرء أنّ السلام عند القدوم فقط؛ والصحيح أنّه يكون عند الانصراف أيضًا - وهذه سُنّة قلّ العمل بها - ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا انتهىٰ أحدُكم إلىٰ المجلس فليسلِّم، فإذا أراد أنْ يقوم فليسلِّم، فليست الأولىٰ بأحقَّ من الآخِرة**» رواه أبو داود.

والسلام يزرع الود والمحبة في القلوب والألفة بين المؤمنين، ويزيل البغضاء

والعداوة، ويأمن به السامع، وفيه الدعاء ونزول البركة، ودليل علىٰ تواضع المرء وبعده عن الكبر، فينبغي للمسلم أن يعتني بهذه الشعيرة العظيمة.

اللهم ارزقنا اتّباع شرعك، واجعلنا من خيرة عبادك.

الشعبة الثانيةُ والسبعون

عيادة المريض

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فعيادةُ المريض من شعب أهل الوفاء والإحسان، العارفين بحقوق إخوانهم، الراحمين لأهل البلاء منهم.

يعطف بها المؤمنُ علىٰ أخيه المريض، ويُؤنس وحشته، ويُدخل السرور عليه، ويُنفّس له في أجله، ويرفع من معنوياته، فالمريض بحاجة ماسّة لهذه الأمور، وعيادته وإيناسه لها أثرها في إراحة نفسيته.

وعيادة المريض جاءت بفضلها النصوص، وبيّنت مكانتها الآثار، بل جعلتها الشريعة حقًّا ثابتًا من حقوق الأخُوَّة، وأدبًا رفيعًا من آداب الإسلام، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ سِتٌّ**» قِيلَ: مَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتْبَعْهُ**» أخرجه مسلم.

ومن فضائلها: الفوز بدعاء ملائكة الرحمن لمن يعود أخاه، فعن علي رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلاَّ صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلاَّ صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الْجَنَّةِ**» أخرجه أحمد.

وفي حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَيُّمَا رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا فَإِنَّمَا يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ، فَإِذَا قَعَدَ عِنْدَ الْمَرِيضِ غَمَرَتْهُ الرَّحْمَةُ، قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ هَذَا لِلصَّحِيحِ الَّذِي يَعُودُ الْمَرِيضَ فَالْمَرِيضُ مَا لَهُ؟ قَالَ: «**تُحَطُّ عَنْهُ ذُنُوبُهُ**» أخرجه أحمد.

وينبغي لمن عاد مريضًا أن يُذكّره بالأجر والثواب للمرضىٰ ليرضىٰ بقضاء الله وقدره، ويدعوه لفعل الطاعات الواجبة وآكدها أداء الصلاة في وقتها فكثيرًا ما يحصل تقصير عند بعض المرضىٰ فيها ويتركون الصلاة جهلًا أو تفريطًا، فعليه أن يعلِّمه أحكامها ويسر الإسلام فيها، ويحثه علىٰ لزوم الطاعات المقدور عليها كتلاوة القرآن وذكر الله تعالىٰ ويوصيه بكثرة الدعاء والصدقة والوصية إن كان عنده ما يُوصي به.

وعلىٰ العائد أن يتخيّر الأوقات المناسبة للعيادة، وألَّا يُطيل البقاء إلا إذا أحبّ المريض ذلك، ويفسح له في أجله وأنّ هٰذا عارضٌ وسيزول بإذن الله تعالىٰ.

اللهم احفظنا بحفظك واشف مرضانا ومرضىٰ المسلمين.

الشعبة الثالثة والسبعون

الصلاة علىٰ الميت واتِّباع الجنازة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالإحسان إلىٰ الميّت واتّباع جنازته من شعب الإيمان التي يتحلىٰ بها أهلُه، ويرجون ما عند الله من الثواب، ويُؤدون بها حقوق إخوانهم حتىٰ بعد مماتهم، وهي من محاسن تعاليم ديننا العظيم.

فعلاقة المسلم بأخيه لا تتوقف علىٰ حياته فقط بل تمتدّ معه حتىٰ بعد مماته من العناية بتجهيزه وتقديمه للآخرة بأحسن صورة وذلك بغسله وتكفينه والصلاة عليه واتّباع جنازته والوقوف عليها بعد دفنه والدعاء له، فأي هدي أعظم من هٰذا الهدي؟!

وأي وفاء أسمىٰ من هٰذا الوفاء؟!

وقد جعل نبينا ﷺ هٰذا الأمر حقًّا من حقوق المسلم علىٰ أخيه المسلم - فانظر كيف اعتنت بك الشريعة حيًّا وميّتًا - يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**حقُّ المسلم علىٰ المسلم خمس: - وذكر منها - واتِّباع الجنائز**» رواه مسلم.

بل رغبنا فيها أعظم ترغيب، وبيّن فضلها بما لا يفرّط فيه إلا من هو زاهد في الأجر أشدّ الزهد، فقال ﷺ - مبيّنًا فضل الصلاة علىٰ الميّت -: «**مَن شَهِد الجنازة حتىٰ يصلَّىٰ عليها فله قيراطٌ، ومَن شَهِدها حتىٰ تُدفن فله قيراطان**»

قيل: وما القيراطان؟ قال: «**مثلُ الجبَلين العظيمين**» رواه البخاري ومسلم.

وفي رواية: «**كلُّ قيراطٍ مثلُ أُحُد**» رواه البخاري.

فكم فرّطنا - والله - في قراريط كثيرة.

أجرٌ عظيم بعمل سهل ويسير، ومع ذلك ترىٰ الزهد فيه ظاهرًا وبينًا.

والترغيب بمثل هٰذا يدل علىٰ سعة فضل الله وواسع جوده، ويدل - أيضًا - علىٰ رحمة الله بالمسلم الميّت حيث رغّب هٰذا الترغيب لنحرص علىٰ الصلاة عليه ونتّبع جنازته فالميّت بحاجة لدعاء إخوانه ولعل منهم من يرحمه الله بسبب دعائه.

ونحن في زمان قد كثر فيه الموت - والله المستعان - وأصبحت الصلاة علىٰ الموتىٰ في مساجد معيّنة، فينبغي للمسلم أن يحرص- إن تيسر له - أن يصلي في هذه المساجد التي تُؤدىٰ فيها الصلاة علىٰ الأموات ليفوز بهذه الأجور.

وينبغي للمسلم - أيضًا - أن ينوي عند الصلاة علىٰ الميت أن يؤدي حق أخيه المسلم الميّت وحق قرابته الأحياء.

وإذا صلىٰ المسلمُ علىٰ أخيه فليُخلص له في الدعاء في الصلاة وليُحضر قلبه فيه، وكذا إذا تبعه ووقف علىٰ قبره، فالميّت أحوج ما يكون في هذه اللحظات لدعاء إخوانه الصادقين المخلصين.

اللهم اغفر لموتانا وموتىٰ المسلمين وأحسن لنا الخاتمة يا أرحم الراحمين.

الشعبة الرابعة والسبعون

الإقراض وحسن الوفاء

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالناس لا يستغني بعضُهم عن بعض، والحاجات بينهم متبادلة- هكذا خلقهم الله تعالىٰ- فهم كما قال الأول: الناس بالناس مادام الحياةُ بهم.

فيُقرض بعضهم بعضًا، ويعاونُ بعضهم بعضًا.

والإقراض عبادة مندوب إليها، وهي شُعبةٌ من شُعب الإيمان متىٰ ما نوىٰ صاحبها نيل الأجر ونفع إخوانه، جاءت بذلك النصوص، يقول ﷺ: «**من نفّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسّر علىٰ معسر يسّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه**» رواه مسلم.

وهو داخل في جملة الإحسان الذي أمر الله تعالىٰ به عباده وحثهم عليه بقوله: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: الآية ١٩٥].

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: لأن أُقرِض دينارين ثم يُردان إليّ، ثم أقرضهما أحب إليَّ من أن أتصدق بهما.

ذلك أن المُقترِض في الغالب لا يقترض إلا وهو مضطر للقرض وقد وقع

في ضائقة، فيكون في إقراضه هٰذا تفريج لكربه.

وينبغي لمن أقرض أخاه أن يصبر عليه إذا عجز عن الوفاء حتىٰ يفرّج الله عنه، وهٰذا ما أمر الله به، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ۚ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾ [البَقَرة: الآية ٢٨٠].

وفي هٰذا الإنظار الأجر العظيم؛ فعن بريدة بن حصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن أنظَر معسرًا فله كل يومٍ مثله صدقةٌ**» فقلت: يا رسول الله سمعتك تقول: «**مَن أنظر مُعسرًا فله كل يومٍ مثليه صدقةٌ**» قال: «**كل يومٍ مثله صدقةً قبل أن يحل الدَّين، فإذا حل فأَنظَر فله كل يومٍ مثليه صدقةٌ**» رواه ابن ماجه.

وينبغي لمن اقترض أن يوفي الدَّين إذا كان مقتدرًا حتىٰ لا يقع في الظلم المنهي عنه، قال رسول الله ﷺ: «**مَطْل الغني ظلمٌ**» رواه البخاري.

وفي رواية النسائي: «**يُحِلّ عِرْضَه وعقوبته**»

وقد أثّرت المماطلة وإنكار الحقوق في التراحم بين الناس حتىٰ صار لا يُقرض بعضُهم بعضًا - وهو واقع وللأسف الشديد- فعلىٰ المرء أن يتقيَ الله ولا يصدّ الناس بمطله وإنكاره الحقوق.

والنيةُ الصالحةُ لها أثر في إعانة العبد لوفاء دينه، يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدّىٰ الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله**» رواه البخاري.

أيها المُقرِض: إذا كان إقراضك أخاك المسلم المحتاج عبادة وقُربة ترجو أجرها وثوابها، فاحذر من إبطال هذه العبادة بالمنّ والأذىٰ، واستحضر قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البَقَرة: الآية ٢٦٤].

واعلم انّ السماحة هدي المسلم في معاملاته كلها، قال ﷺ: «**رحم الله عبدا سمحًا إذا باع، وسمحًا إذا اشترىٰ، وسمحًا إذا قضىٰ، وسمحًا إذا اقتضىٰ**» رواه ابن ماجه.

ومما ينبغي الإشارة إليه - هنا -: أن يبتعد المرء عن الاقتراض قدر الاستطاعة ولا يلجأ إليه إلا عند الحاجة، فالدَّيْن قد ورد فيه من التشديد ما ورد، فعن مُحَمَّدِ بْنِ جَحْشٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، ثُمَّ وَضَعَ رَاحَتَهُ عَلَىٰ جَبْهَتِهِ ثُمَّ قَالَ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ! مَاذَا نُزِّلَ مِنَ التَّشْدِيدِ؟**» فَسَكَتْنَا وَفَزِعْنَا، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ سَأَلْتُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا هَذَا التَّشْدِيدُ الَّذِي نُزِّلَ؟ فَقَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ رَجُلا قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ أُحْيِيَ ثُمَّ قُتِلَ ثُمَّ أُحْيِيَ ثُمَّ قُتِلَ وَعَلَيْهِ دَيْنٌ مَا دَخَلَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يُقْضَىٰ عَنْهُ دَيْنُهُ**» حسّنه الألباني في صحيح النسائي.

فلا ينبغي للمرء أن يتساهل فيه ويقترض للكماليات وكمال الكماليات مما وقع فيه كثيرٌ من الناس للأسف الشديد.

اللهم ألهمنا رشدنا واغفر ذنوبنا يا رحمن.

الشعبة الخامسة والسبعون

الذبح لله

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالذبح عبادة جليلة عظيمة لا يجوز صرفها لغير الله، فمن صرفها لغير الله فقد وقع في الشرك الأكبر، فقد جاءت النصوص الشرعية بوجوب صرفه لله وحده، قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعَام: الآية ١٦٢].

وقال سبحانه: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢﴾ [الكَوثَر: الآية ٢].

وعبادة الذبح تشمل أنواعًا كثيره: كالأضحيه والهدي والعقيقه وتكون كفّارة في بعض الأحكام، ومنها الذبح للضيافة والإكرام وكلها قربات يتقرّب بها العبد لربه.

والذبح جمع عبادتين جليلتين:

عبادة الذبح لله.

وعبادة الإطعام.

ولقد زهد النّاس فيها ولم يعد يتقرّب بها لله إلا القليل من المسلمين مع أنّ في الناس من لا يرىٰ اللحم إلا في الأضاحي.

ولِعظم أجر هذه العبادة كان رسول الله ﷺ يفعلها كثيرًا امتثالًا لأمر ربه

بقوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ [الكوثر: الآية ٢].

يقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان رسول الله ﷺ كثير النحر كثير الصلاة.

فاحرص - أيها المؤمن - علىٰ فعل هذه العبادة وتقرّب إلىٰ لله بها.

ويقع في بلاد المسلمين وللأسف الشديد الذبح لغير الله بصور متنوّعة، ومن ذلك: الذبح للأضرحة والأولياء - زعموا - والقبور والمشاهد بقصد التقرّب للأموات، ومنه الذبح للجنِّ خوفًا من شرّهم عند الانتهاء من بناء منزل أو نحو ذلك ومنه الذبح تنفيذًا لطلب الساحر لأجل عمل سحر أو حلِّه لشفاء مريض وكل ذلك من الشرك الأكبر المُخرج من المِلة.

ومن ذبح لغير الله حقت عليه اللعنة من الله وهي: الطرد والإبعاد من رحمته، فعن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**» رواه مسلم.

فاحذر هٰذا الفعل ولا تتساهل فيه، فهو - كما تقدّم - من الشرك الأكبر.

اللهم احفظنا بحفظك وجنبا مساخطك.

الشعبة السادسة والسبعون

الوفاء بالنذر

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فالنذر: هو ما يُوجبه المسلم علىٰ نفسه مما لا يجب عليه شرعًا، سواء أكان مشروطًا أو غير مشروطٍ، وهو نوعان:

الأول: النذر المعلّق.

وهو أن يُعلِّق النذر علىٰ حصول شيء، كما لو قال: إن شفاني الله لأتصدقنّ بكذا أو لأصومنّ كذا، ونحو ذلك.

الثاني: النذر المُنَجز، أي: الذي لم يُعلّق علىٰ حصول شيء.

كما لو قال: لله عليّ أن أصوم كذا أو أتصدق بكذا.

وكلا النوعين يجب الوفاء به إذا كان المنذور فعل طاعة.

لقول النبي ﷺ: «**مَنْ نَذَرَ أَنْ يُطِيعَ اللَّهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أَنْ يَعْصِيَهُ فَلا يَعْصِهِ**» رواه البخاري.

ولقد مدح اللهُ الموفين بنذورهم وأثنىٰ عليهم بقوله: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ [الإنسان: الآية ٧].

وذَمَّ الرسولُ ﷺ الذين ينذرون ولا يوفون، روىٰ مسلمٌ من حديث عِمْرَانَ ابْن حُصَيْنٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ خَيْرَكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ**

الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» - قَالَ عِمْرَانُ: فَلا أَدْرِي أَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَعْدَ قَرْنِهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً - «**ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمْ السِّمَنُ**».

ومع أنّ النذر يجب الوفاء به إلا أنّ ابتداءَه مكروهٌ، لأنّ العبد ينبغي عليه أن يعبد ربه طواعية من غير نذر، قال ﷺ: «**لا تنذروا؛ فإنّ النذر لا يرد من قدر الله شيئًا، وإنما يُستخرج به من البخيل**» رواه ابن حبان وهو حديث صحيح.

ويرىٰ بعض أهل العلم أنّ من لم يستطع الوفاء بالنذر يُكفّر كفّارة يمين لقوله ﷺ: «**كفارة النذر كفارة اليمين**» رواه مسلم.

وهي: إطعام عشرة مساكين أو كسوتهم أو عتق رقبة وهذه الثلاث علىٰ التخيير، فمن لم يستطع فعل شيئًا من ذلك انتقل إلىٰ صيام ثلاثة أيام.

اللهم وفقنا لهداك واجعل عملنا في رضاك.

الشعبة السابعة والسبعون

حفظ الأيمان

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فمن شعب الإيمان (حفظ الأيمان) فهي شعبة تدل علىٰ تعظيم العبد لأمر ربه، قال تعالىٰ: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡۚ﴾ [المَائدة: الآية ٨٩].

قال أهل العلم: وحفظ الأيمان يكون بثلاثة أمور:

أولا: حفظها ابتداءً بألَّا يحلف المرء كثيرًا.

ثانيًا: حفظها بألَّا يحلف بالله كاذبًا.

ثالثًا: حفظها عن الحنث فيها (أي: عن التراجع عنها) فإن حلف فلا يتراجع إلا إذا كان التراجع خيرًا من الإمضاء فيفعل الخير ويُكفّر عن يمينه.

والمرء إذا كان مُكثرًا من الحلف لا يأمن أن يقع في الأيمان الكاذبة، فلذا كان البعد عن كثرة الحلف أمرًا مندوبًا.

وأمّا الحلف بالله كاذبًا فهو من كبائر الذنوب ويدل علىٰ عدم تعظيم الله.

واليمين الكاذبة هي: (اليمينُ الغموس) التي تغمس صاحبها في النّار، وهي من أكبر الكبائر، روىٰ البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: جاء أعرابيٌّ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ ما الكبائرُ؟ قال: «**الإشراكُ باللهِ**»، قال: ثم ماذا؟ قال: «**عقوقُ الوالدَينِ**»، قال: ثم ماذا؟ قال: «**اليمينُ**

الغموسُ»، قلتُ: وما اليمينُ الغموسُ؟ قال: «**الذي يقتطعُ مالَ امرئٍ مسلمٍ هو فيها كاذبٌ**».

وقال ﷺ: «**من حلف علىٰ يمين ليقتطع بها مال امرئ مسلم بغير حق فقد أوجب الله له النار وحرّم عليه الجنة**» رواه مسلم، وفي رواية الصحيحين: «**لقي الله وهو عليه غضبان**».

وينبغي للعبد - أيضًا - أن يحفظ يمينه إذا حَلف إلا إذا رأىٰ أنّ مخالفته لها خيرٌ له في الدنيا والآخرة فيأتي الذي هو خير ويُكفّرعن يمينه وهٰذا من رحمة الله بعباده.

وقد كان هٰذا هدي نبينا محمد ﷺ، ففي الحديث يقول - عليه الصلاة والسلام -: «**إِنِّي واللَّهِ إِنْ شَاءَ اللَّه لا أَحلِفُ عَلَىٰ يَمِينٍ ثُمَّ أَرَىٰ خَيْرًا مِنهَا إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِيني وأَتيْتُ الَّذِي هُوَ خَيرٌ**» متفقٌ عليه.

ويقول: «**مَنْ حلَف عَلَىٰ يَمِينٍ فَرأَىٰ غَيْرَها خَيْرًا مِنْهَا فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ ولْيَفْعَل الَّذِي هُوَ خَيْرٌ**» رواهُ مسلم، فهذه أحكام مختصرة للأيمان نفعنا الله بها جميعًا.

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا وزدنا علمًا وارزقنا تعظيم أمرك.

الشعبة الثامنة والسبعون

كتابة الوصية

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فكتابة الوصية من شعب الإيمان التي حث النبيُّ ﷺ أمته علىٰ العناية بها - خصوصًا لمن كان عنده ما يُوصي به من حقوق -.

يقول رسول الله ﷺ: «**ما حق امرئ مسلم له شيء يوصي فيه يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده**» رواه البخاري ومسلم.

وقد تساهل الناس في هٰذا الشأن، فتجد الرجلَ له أو عليه حقوقٌ فلا يُوصي بها، فإذا مات أوقع ورثته في حرج شديد وأدخلهم في مشاكل ومصاعب وضاعت الحقوق، كل ذلك بسبب تفريطه في عدم كتابة الوصية.

ومن المخالفات الشرعية في الوصايا: الوصية لبعض الورثة وحرمان غيرهم، وهٰذا أمرٌ محرّم.

خَطَب رسول الله ﷺ في أعظم مجمع إسلامي في صحابته رضي الله عنهم، فكان ممّا جاء في خطبته: «**إنّ الله تبارك وتعالىٰ قد أعطىٰ لكل ذي حق حقه، فلا وصية لوارث**» رواه الترمذي.

وأمّا من أراد الوصية بالصدقة ببعض ماله ليكون له صدقة جارية تنفعه بعد مماته، فينبغي أن تكون بأقل من ثلث التركة وأن يُبقي لأولاده ما يغنيهم

عن النّاس، وهٰذا من رحمة الله بعباده، ومن تقديم الأهم علىٰ ما هو دونه، روىٰ الشيخان عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: عادني رسول الله ﷺ في حجة الوداع من وجعٍ أشفيتُ منه علىٰ الموت، فقلت: يا رسول الله بلغني ما ترىٰ من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة لي واحدة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ قال: «**لا**»، قال: قلت: أفأتصدق بشطره؟ قال: «**لا؛ الثلث؛ والثلث كثير، إنّك أن تَذَرَ ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرهم عالةً يتكفّفون الناس**».

ولا تُنفّذُ وصية التبرّع إلا بعد سداد الديون كلها، ذلك أن سداد الدَّين واجب، والوصية المندوبة تطوّع، والواجب مقدّم علىٰ التطوّع.

روىٰ ابن ماجه عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قضىٰ رسول الله ﷺ بالدَّين قبل الوصية وأنتم تقرءونها: ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ﴾ [النِّساء: الآية ١١] حديث حسن، صححه الألباني في صحيح ابن ماجه.

ويستحب للمسلم أن يُشهِدَ عند كتابة وصيته لأجل حفظها ولضمان تنفيذها، ومنعًا من احتمال جحودها وإنكارها.

اللهم فقهنا في ديننا وارزقنا الاستجابة لأوامره.

الشعبة التاسعة والسبعون

إماطة الأذىٰ عن الطريق

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ إمام المرسلين **وبعد**:

فإماطة الأذىٰ عن الطريق شعبة نص عليها نبينا ﷺ في الحديث المشهور، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ قال: «**الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذىٰ عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان**» متفق عليه.

وهي من محاسن ديننا العظيم، ومظهر من مظاهر كمال هذه الشريعة الغراء حيث راعت كل جميل في المجتمع ومنه: إماطة الأذىٰ عنه.

وهي تشمل كل أذىٰ يلحق الناس سواء في طرقهم أو تجمعاتهم أو بيوتهم أو مقارّ أعمالهم، فحقُّ كل مكان - خصوصًا إذا كان مُرتادًا ومقصودًا من النّاس - أن يُنظّف ويُماط عنه الأذىٰ.

وهو من جملة الصدقات التي رغّب فيها رسولنا ﷺ، فقد جاء في الحديث - كما عند البخاري -: «**كُلُّ سُلامَىٰ مِنَ النَّاسِ عليه صَدَقَةٌ، كُلَّ يَومٍ تَطْلُعُ فيه الشَّمْسُ يَعْدِلُ بيْنَ الِاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، ويُعِينُ الرَّجُلَ علَىٰ دابَّتِهِ فَيَحْمِلُ عليها أوْ يَرْفَعُ عليها مَتاعَهُ صَدَقَةٌ، والكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وكُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها إلىٰ الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، ويُمِيطُ الأذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**».

بل جعلها نبينا ﷺ من محاسن أعمال أفراد الأمة - تنويهًا بأهميتها وألَّا نستهين بها- فقال: «**عُرِضتْ عليَّ أعمالُ أُمَّتي حسنُها وسيئُها فوجدتُ في محاسنِ أعمالِها أنَّ الأذَىٰ يُماطُ عن الطريقِ، ووجدتُ في مساويءِ أعمالِها النُّخاعةُ في المسجدِ لا تُدفَنُ**» رواه مسلم.

فأَوْلِ - أيّها المسلم - هٰذا الأمر العناية اللائقة به، واعتنِ به، فإذا مررت بطريق ووجدت به أذىٰ من شوك أو حجر يُؤذي المارّة أو يتسبب في أذىٰ مركباتهم فأزله حتىٰ وإن اضطررت لأن تقف وتنزل من سيارتك، فهو يستحق منك ذلك فإنّه من أسباب المغفرة، وشكر الله لعبده، ورضاه عن صنيعه هٰذا، يقول رسول الله ﷺ: «**بينَما رجُلٌ يمشي بطريقٍ وجَد غُصْنَ شوكٍ علىٰ الطَّريقِ فأخَذه فشكَر اللهُ له فغفَر له**» رواه ابن حبان.

وإماطة الأذىٰ عن الطريق سبب لدخول الجنَّة، والتنعُّم بملذَّاتها، يقول رسولنا ﷺ: «**لقد رأيتُ رجلًا يتقلَّبُ في الجنَّةِ، في شجرةٍ قطعَها من ظهرِ الطريقِ كانت تُؤذي النَّاسَ**» رواه مسلم.

ومن اللفتات الجميلة في حَسَنة إماطة الأذىٰ: أن يُميط المؤمن الأذىٰ عن إخوانه بعدم أذيتهم أو إيلامهم بالكلمة المُؤلمة أو الفعل الجارح.

فتأمّل في هذه الفضائل لتدرك أنّه عمل غير يسير وأجره عند الله كبير وهٰذا شأن الشريعة في أحكامها كلها.

اللهم وفقنا لفعل هذه الشُّعب بإخلاص وحُسن اتباع.

وبعد: فهذه تسعٌ وسبعون شعبة جمعتها وشرحتها شرحًا موجزًا رجاء أن تكون قريبة لكل مسلم ليعمل بها وينتفع بها، فاجتهد أن تقوم بها علىٰ أكمل وجه، فهي عبادات وقُربات تتقرّب بها لربك، فترتفع بها درجاتك، وتنال الرضا من الرحمن.

وقد تبيّن لك من خلالها - أيّها المؤمن - عظمة هٰذا الدين وعظمة شعائره فهي شُعب تنوّعت بين عبادات بين العبد وبين ربه، وبين العبد وبين الخلق شاملة لمعاملات وآداب وتوجيهات نافعة لنوقن بأنّ هٰذا الدين من لدن حكيم خبير، وأنّه جاء لصلاح دنيا الناس وآخرتهم، فاللهم فقهنا فيه وبصرنا بشرائعه وأعنّا علىٰ فعلها وارزقنا الإخلاص في ذلك.

كتبه

عادل بن عبدالعزيز أحمد الجهني

١/٨/١٤٤٢ من هجرة المصطفىٰ ﷺ

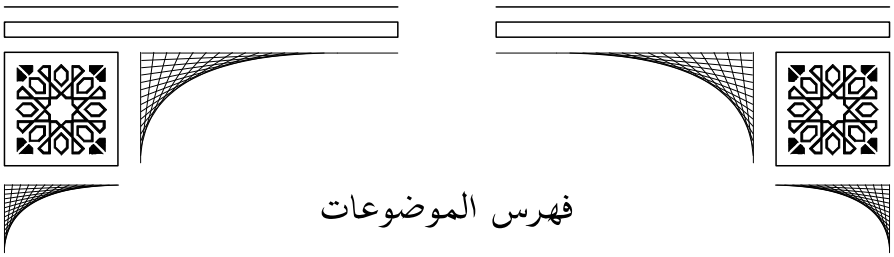

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدّمة	٣
الشُّعبةُ الأولىٰ: قول لا إله إلا الله	٦
الشُّعبةُ الثانية: الإيمان بالله	٨
الشُّعبةُ الثالثة: الإيمانُ بالملائكة	١١
الشُّعبةُ الرابعة: الإيمانُ بالكتب	١٤
الشُّعبةُ الخامسة: الإيمان بالرسل	١٦
الشُّعبةُ السادسة: الإيمان بالقضاء والقدر	١٨
الشُّعبةُ السابعة: الإيمان باليوم الآخر	٢١
الشُّعبةُ الثامنة: الإيمان بسؤال القبر ونعيمه وعذابه	٢٣
الشعبة التاسعة: الإيمان بالبعث والنشور	٢٦
الشعبة العاشرة: الإيمان بالشفاعة العظمىٰ لنبينا ﷺ	٢٨
الشُّعبةُ الحادية عشرة: الإيمان بالحساب وتطاير الصحف	٣١
الشُّعبةُ الثانية عشرة: الإيمان بالحوض المورود	٣٤
الشعبة الثالثة عشرة: الإيمان بالميزان	٣٦
الشُّعبةُ الرابعة عشرة: الإيمان بالصراط	٣٨
الشعبةُ الخامسة عشرة: الإيمانُ بالجنّة	٤١
الشعبةُ السادسة عشرة: الإيمانُ بالنار	٤٤
الشعبة السابعة عشرة: الخوف من الله	٤٧

الشُّعبةُ الثامنة عشرة: عبادة الرجاء ٤٩
الشُّعبةُ التاسعة عشرة: عبادة التوكل ٥١
الشُّعبةُ العشرونَ: عبادةُ الصبر، والرضا بعد القضاء ٥٤
فصلٌ - عبادة الرضا بعد القضاء - ٥٦
الشعبة الحادية والعشرونَ: التوبة ٥٨
الشعبة الثانية والعشرونَ: محبة الله تعالىٰ ٦٠
الشعبة الثالثة والعشرونَ: محبة النبي ﷺ، وتعظيم قدره وإجلاله ٦٢
فصلٌ - في تعظيم قدر النبي ﷺ وإجلاله - ٦٤
الشعبة الرابعة والعشرونَ: الحبُّ في الله والبغض في الله ٦٧
الشعبة الخامسة والعشرونَ: تعظيم الله وتعظيم أوامره ونواهيه ٦٩
فصلٌ في أسباب تعظيم الله وأمره وأثر ذلك ٧١
الشعبة السادسة والعشرونَ: حفظ حدود الله ٧٣
الشُّعبةُ السابعة والعشرونَ: سلامة الصدر للمسلمين وترك الحسد ٧٦
الشعبة الثامنة والعشرونَ: الطهارة والتطهّر ٧٩
الشعبة التاسعة والعشرونَ: الصلاة المفروضة ٨١
الشعبة الثلاثونَ: العناية بيوم الجمعة ٨٣
الشعبة الحادية والثلاثونَ: الصلاة نفلا ٨٥
فصلٌ في فضل قيام الليل ٨٧
الشعبة الثانية والثلاثونَ: الزكاة ٨٩
الشعبة الثالثة والثلاثونَ: الصدقة والنفقة ٩١
الشعبة الرابعة والثلاثونَ: الصيام فرضًا ونفلاً ٩٤
فصلٌ في فضل الاعتكاف ٩٦
فصلٌ في أهمية التماس ليلة القدر ٩٨
الشعبة الخامسة والثلاثونَ: الحج ١٠٠
الشعبة السادسة والثلاثونَ: العُمرة ١٠٢
فصلٌ في فضل الطواف ١٠٤

الشُّعبة السابعة والثلاثون: حسن الخلق ١٠٦
فصلٌ في أسباب تحصيل الخلق وآثاره ١٠٩
الشُّعبةُ الثامنة والثلاثون: الرحمة ١١٢
الشُّعبةُ التاسعة والثلاثون: التواضع ١١٤
الشُّعبةُ الأربعون: الرفق ١١٦
الشعبة الحادية والأربعون: الحياء ١١٨
الشعبة الثانية والأربعون: العفاف ١٢٠
الشُّعبة الثالثة والأربعون: حسن العهد ١٢٣
فصلٌ في سير السلف مع حسن العهد ١٢٥
الشعبة الرابعة والأربعون: الغَيْرةُ ١٢٨
فصلٌ في أسباب ضعف الغَيْرة ومسائل في هٰذا الشأن ١٣١
الشعبة الخامسة والأربعون: البذاذة ١٣٤
الشعبة السادسة والأربعون: بِرُ الوالدين ١٣٧
الشعبة السابعة والأربعون: صلةُ الأرحام ١٣٩
الشعبة الثامنة والأربعون: الإحسانُ بين الزوجين ١٤٢
الشعبة التاسعة والأربعون: العناية بالأبناء ورعايتهم ١٤٤
الشعبة الخمسون: رحمةُ الخدم ١٤٦
الشعبة الحادية والخمسون: الإحسان إلىٰ الجار ١٤٨
الشعبة الثانية والخمسون: إطعام الطعام ١٥٠
الشعبة الثالثة والخمسون: إكرام الضيف ١٥٢
الشعبة الرابعة والخمسون: الزيارة في الله ١٥٤
الشعبة الخامسة والخمسون: توقير الكبير ١٥٦
الشعبة السادسة والخمسون: العناية بالمستضعفين ١٥٨
الشعبة السابعة والخمسون: تلاوة القرآن ١٦٠
الشعبة الثامنة والخمسون: ذكر الله تعالىٰ ١٦٣
الشعبة التاسعة والخمسون: طلب العلم ١٦٦

الشعبة الستون: تعليم النّاس وإرشادهم ١٦٨
الشعبة الحادية والستون: الدعاء ١٧٠
الشعبة الثانية والستون: الاستغفار ١٧٣
الشعبةُ الثالثة والستون: كثرةُ الصلاة على النبي ﷺ ١٧٦
الشعبة الرابعة والستون: طاعةُ ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين ١٧٩
فصلٌ في لزوم جماعة المسلمين ١٨١
الشعبة الخامسة والستون: الإصلاح بين الناس ١٨٣
الشعبة السادسة والستون: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ١٨٥
الشعبةُ السابعة والستون: الجهاد في سبيل الله ١٨٨
الشعبة الثامنة والستون: الهجرة والفرار من الفتن ١٩١
الشعبة التاسعة والستون: أداء الأمانة ١٩٣
الشعبةُ السبعون: حفظ اللسان ١٩٥
الشعبة الحادية والسبعون: إفشاء السلام ورده ١٩٧
الشعبة الثانيةُ والسبعون: عيادة المريض ٢٠٠
الشعبة الثالثة والسبعون: الصلاة على الميت واتِّباع الجنازة ٢٠٢
الشعبة الرابعة والسبعون: الإقراض وحسن الوفاء ٢٠٤
الشعبة الخامسة والسبعون: الذبح لله ٢٠٧
الشعبة السادسة والسبعون: الوفاء بالنذر ٢٠٩
الشعبة السابعة والسبعون: حفظ الأيمان ٢١١
الشعبة الثامنة والسبعون: كتابة الوصية ٢١٣
الشعبة التاسعة والسبعون: إماطة الأذى عن الطريق ٢١٥
فهرس الموضوعات ٢١٩

ISBN 978-603-03-7202-7
9 786030 372027

دار الصميعي للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية
المركز الرئيسي: شارع السويدي العام غرب النفق - الرياض
ص. ب: ٤٩٦٧/ الرمز البريدي: ١١٤١٢
هاتف: ٩٦٦١٤٢٦٢٩٤٥+ ، ٩٦٦١٤٢٥١٤٥٩+
فاكس: ٩٦٦١٤٢٤٥٣٤١+ جوال: ٩٦٦١٥٥٥١٦٩٠٥١+
فرع القصيم: عنيزة، حي السليمانية، شارع الشبيلي، جوال: ٩٦٦١٥٣٣٥٥٠٥٩٩+
هاتف، فاكس: ٣٦٢١٧٢٨
البريد الإلكتروني: daralsomaie@hotmail.com